MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE



en ligne en ligne

AnIsI 43 (2009), p. 376-416

Mervat 'Otman Ḥassan

المملوكي طائفة المغاني في مصر في العصر .Ṭāʿift al-maġānī fī Maṣr fī al-ʿaṣr al-mamlūkī

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724710922 Athribis X Sandra Lippert 9782724710939 Bagawat Gérard Roquet, Victor Ghica 9782724710960 Le décret de Saïs Anne-Sophie von Bomhard 9782724710915 Tebtynis VII Nikos Litinas 9782724711257 Médecine et environnement dans l'Alexandrie Jean-Charles Ducène médiévale 9782724711295 Guide de l'Égypte prédynastique Béatrix Midant-Reynes, Yann Tristant 9782724711363 Bulletin archéologique des Écoles françaises à l'étranger (BAEFE) 9782724710885 Musiciens, fêtes et piété populaire Christophe Vendries

© Institut français d'archéologie orientale - Le Caire

مرقت عثمان حسن

طائفة المغاني في مصر في العصر المملوكي

الغناء في العصر المملوكي

إهتم الناس على مر العصور إهتماماً كبيراً بالموسيقي والغناء بكل أنواعها، مما جعل للموسيقي والغناء أهمية كبيرة في العصور المختلفة، ويرتبط الغناء بالموسيقي إرتباط التوأم بشقه الثاني، وقد حقق الغناء إنتشاره وحضوره المؤثر منذ أيام العرب الأولى وقد إرتفع شأن الغناء في العصور المختلفة بصفة عامة وعصر سلاطين المماليك بصفة خاصة، ويقال أن هذا الذي عليه المماليك من حب للفنون والغناء والموسيقا ورثوه من أسلافهم الفاطميين والأيوبيين،

١. تتقدم الباحثة بخالص الشكر والتقدير إلى أساتذتها وزملائها الذين أثروا البحث بملاحظاتهم السديدة عند إلقائه في الموسم الثقافي للجمعية المصرية للدراسات التاريخية لعام ٢٠٠٨ – ٢٠٠٩م.

غنن غ ن ن الغنه صوت في الخيشوم والأغن الذي يتكلم به من قبل خياشيمه يقال طير أغن وواد أغن أي كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذبان وفي أصواتها غنة ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب غناء وأما قولهم واد مغن فهو الذي صارت فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا في واد مخصب معشب. غ نى غنى به عنه بالكسر غنيه بالضم وغنيت المرأة بزوجها غنيانا بالضم واستغنت وغنى بالمكان أقام به وغنى الذباب إلا في واد محصب معشب. غ نى غنى به عنه بالكسر غنيه بالضم وغنيت المرأة بزوجها غنيانا بالضم واستغنت وغنى بالمكان أقام به وغنى عنك وما ينفعك والغانية الجارية التي غنيت بزوجها وقد تكون التي غنيت بحسنها وجمالها والأغنية كالأحجية الغناء والجمع الأغاني تقول منه تغنى بمعني والغناء بالفتح والملد النفع وبالكسر والمد السماع وبالكسر القصر اليسار تقول منه غنى بالكسر غنى فهو غنى وتغنى أيضاً أى المتغنى وتغانوا استغنى بعضهم عن بعض والغنى مقصور واحد المغانى وهي المواضع التي كان بها أهلوها، انظر: الرازى، مختار الصحاح، جـ١، وكل من رفع صوته ووالاه فصوته عند العرب غناء والغناء بالفتح النفع والغناء بالكسر من السماع والغنى مقصور اليسار قال ابن الأعرابي كانت العرب تتغنى بالركباني إذا ركبت الإبل وإذا جلست في الأفنية وعلى أكثر أحوالها فلها نزل القرآن أحب النبي أن يكون هجيراهم بالقرآن مكان التغنى، ويقال غنى فلان يغنى أغنية وتغنى بأغنية حسنة وجمعها الأغانى أنظر: ابن العرب، جـ١٥ ص١٩٥ وم بلقرآن مكان التغنى، ويقال غنى العناء ورفع الصوت إلى الغاية بالأنغام جمع نغم محركة وهو ترجيح منظور، لسان العرب، جـ١٥ ص١٩٥ وم والغانى جع مغنى بمعنى الغناء ولم يقف على هذا في اللغة، إنها المعنى: المنزل، وقد يريد به جمع من على طرح زيادة الضعف، وإن كان بعيداً في القياس، السبكى، معيد النعم ومبيد النقم، ص١٩٠ .

www.azmimah.com, www.neelwalurat.com .Y

فأقبل أمراؤهم وسلاطينهم على تلك الفنون وضروب الملاهي ومتع الحياة ولذاتها إقبالاً لم يعرف لأسلافهم من قبل فانغمسوا فيه إنغماساً شديداً حتى كادت حياتهم كلها تكون للإستمتاع من هذا كله بنصيب وافر، وبهذا أرخو للناس من حولهم أن يشاركوهم تلك المتع وهذا الطرب، وما أن وجد المصريون في سلاطينهم من المماليك هذا الميل وهذا الشغف حتى أقبلوا معهم يشاركونهم ذلك الإستمتاع، وما فعل المماليك غير أن حركوا ذلك الدفين في نفوس المصريين، فإذا هم يجدون منهم سماعاً وعشيرة طرب ورفقة إستمتاع".

وقد كان إقبال المصريين على الغناء في عصر المماليك إقبال المتذوقين الدارسين فهم كما كانوا يستحسنون يستهجنون، وكما يستجيدون يستقبحون³؛ فالحديث عن الغناء والمغنيين لا يتم دون موسيقي فالموسيقي والغناء يكونان معاً، فلا موسيقى دون أن يكون معها غناء، وعلى العكس من ذلك قد يكون غناء وليس معه موسيقى، وإن كان هذا لا يحدث إلا في القليل النادر هو الآخر، فلم نسمع عن عواد أو طنبورى أو زمار أو طبال أو رقاق أى صاحب رق إنفرد بحفل بعينه أو بمجتمع بذاته ينفرد بالموسيقى فقط، بل كان هذا الموسيقى على اختلاف ضروبه وتنوع فنونه دوماً لا يظهر، إلا في مصاحبة مغن أو مغنية حين ينعقد للسماع مجلس، فالفن الموسيقى والفن الغنائي يرتبطان بعضهما البعض إرتباطاً وثيقاً، وقد شهد العصر المملوكي وجود الآلات الموسيقية مثل العود، والطنبور، والمزمار، والطبل، والرق، والكمنجة، والرباب، والطنبورة، والقانون، والساجات، والنقارات وللأسف أن المراجع التي تحدثت عن الموسيقا في العصر المملوكي لم تكن مراجع متخصصة فذكرتها ومرت عليها مر الكرام.

أشهر المغنيين في العصر المملوكي

نالت الموسيقى والغناء أهمية كبيرة في العصر المملوكي فقد ساعد على ذلك تشجيع السلاطين والأمراء وإغداقهم على المغنيين والمغنيات، ولا عجب إذا وجدنا أدباء عصر المماليك وشعراءه يكثرون من ذكر المغنيين والمغنيات في شعرهم ونثرهم فقد عرفنا إسم مُغنى من خلال الشعر، فذكر لنا بعض شعراء العصر إسم لمُغنى في شعره.

حفظ النساء وما قرأ للواقعة وأتى القتال وفصلت بالقارعة وبنصره في عصره للسابعة عطعط به الدخان نار لامعة^ لنا أتى للعاديات وزلزلت فلأجل هـ ذا الملك أضحى لم يكن لو عامل الرحمن فاز بكهفة من كانت القينات من أحزابة

٣. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص١٠.

٤. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص١٣.

المجتمع المصري، ص١١٧.

جمن اشتهر بالبراعة في فن الموسيقي في ذلك العصر الأمير إشقتمر المارديني المتوفي سنة ٧٩١هـ أنظر، سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦٠.

٧. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦؛ محمد قنديل البقلي، الطرب، ص١٢.

٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

وقد أشار الناظم بقوله «عطعط» وهم إسم مُغنى، من ندماء السلطان الناصر حسن وكان يحضر في مجلسه وقد كان عطعط هذا مُغنى كان يُغنى بمصر والشام (ومن أشهر مُغنى عصر سلاطين المماليك إتفاق العوادة التي تعلمت ضرب العود على يد عبد على العواد، فمهرت في الغناء، وكانت إتفاق حسنة الصوت جيدة الغناء فقدمتها ضامنة المغانى لبيت السلطان فاشتهرت فيه بالغناء (وقد كان لها نصيب كبير في تسابق ثلاثة إخوة من السلاطين هم الصالح إسماعيل وشعبان وحاجى على طلبها (اليك أشهر مغنيين العصر المملوكي).

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكانتهم في الدولة
عبد العزيز الحفني	وقد وصف بأنه أعجوبة زمانة في فن الغناء ١٣٠٠.ت ٧١٠هـ/ ١٣١٠ - ١٣١١م.
خديجة الرحابية	وكانت ذات مكانة عالية وكبيرة عند أهل الدولة ^{۱۵} ، كانت تغنى للرجال والنساء أى أنها عاشت تغنى لعامة الشعب في الميدان العام وحظيت عند أصحاب السلطة في الدولة وكانت الناس تحكى عن جمال صوتها وتمتدح شكلها فكانت فتنة عصرها غناءً وشكلاً ۱۵، ت سنة ۱۸۸۷هـ/ ۱٤۸۲م.
خوبى العوادة	فقد كانت مغنية فائقة في ضرب العود فاشتراها بكتمر الساقى بعشرة آلاف دينار،ويقال أنه لم يدخل مصر لها نظير في الغناء وضرب العود١٦٠.
عبد على العواد	مُعلم إتفاق العوادة، في عهد السلطان المظفر حاجي ^{١٧} وقد كان صوته رائع.
إبراهيم بن بابي صارم الدين	كان مقرباً عند المؤيد شيخ أبى النفس إليه المنتهى في جودة الضرب بالعود، ولم يخلف بعده مثله، وهو أحد ندماء السلطان المؤيد شيخ ومغنيه المحبب لدية، كان أعجوبة زمانة في ضرب العود والغناء، ولم يكن جيد الصوت فحسب بل كان رأساً في العود وفي فن الموسيقى إنتهت اليه الرياسة في ذلك، قيل أنه رومي الأصل في لسانه عجمة، لكن يديه الضاربتين على العود كانتا تنسى عجمة لسانه ١٨٨هـ/ ١٤١٨م.

٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٥٧٨ – ٥٧٩.

١٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢.

١١. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧١٥.

۱۲. ابن الصيرفى، نزهه النقوس والأبدان، جـ۱، ص۲۱۱؛ ابن حجر، الدرر الكامنه، جـ۱، ص٩١؛ محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، ص٤٤- ٤٦.

١٣. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، ص٣٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٧٠٧؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦.

١٤. السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٢، ص٣٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٠٧؛ أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٤.

^{10.} محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، ص ٨٨-٨٨.

١٦. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٢، ص٩٥؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٨، ويبدو من إسمها أنها كانت من أصل تركى أو إيراني، أنظر : أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٤.

١٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٢٥٤.

^{14.} السخاوي، الضوء اللامع، جـ ١، ص ٣٢؛ محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٢٥.

أشهر مغنيين العصر المملوكي	مكانتهم في الدولة
	وقد ذاعت شهرته أيام الناصر محمد بن قلاوون الذي كان السلطان يرسل في جلبه من ماردين، وإنتهي إليه حسن الطرب بالجنك العجمى، وكان يسأل السلطان في العودة إلى ماردين فيقيم مرة ويرجع بطلب السلطان ١٩ وتعلم الكثير من الجواري على يديه وتخرج على يديه العديد منهن ٢٠.
جمال الدين أبو سعيد الكردي	إجتهد حتى فاق في الغناء، ثم جاء إلى بلاد الشام فاختص به الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة ببلاد الشام، وعندما بلغ الناصر محمد خبره إستدعاه وأعطاه خبز حلقة «أى إقطاعاً» ثم رتب له راتباً، وهو مؤلف لشتى الآلات الموسيقية التي شاع إستعمالها في ذلك العصر ٢١.
ابن الفصيح عبد العزيز	ويقال إنه كان أعجوبة زمانة في صناعة الغناء ت سنة ٧١٠هـ / ١٣٢١م.
محمد بن على المازني الدهان	وكان عارفاً بالغناء، ويجيد اللعب بالقانون.
	قدم من الشام، إختص بنائب السلطان الناصر على الشام الأمير تنكز، وصار يُعلم جواريه الغناء، ولما سمع به الناصر إستدعاه ورتب له راتباً، ولقد وضع عمر إبن خضر هذا كتاباً في الموسيقا إسمه الكنز المطلوب في الدوائر والضروب٢٢.
	كانت من أعيان مغاني مصر وفريدة عصرها في النشيد مع حسن الصوت وفصاحة بإعراب الشعر فلم يخلفها من بعدها أحد من النساء المغاني، ورأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية العز والعظمة ما لا رآه غيرها من أرباب هذا الفن، وعندها بضع وثمانين سنة، وكان لها شهرة عظيمة بمصر ٢٣ ت سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م.
	وكانت من أعيان مغاني البلد، رأت من الأعيان وأرباب الدولة غاية الحظ والإحسان لها ٢٤، كانت تغنى الأغانى الخفيفة، وبهذا الإنفراد بذلك اللون الخاص من الغناء إشتهرت أصيل القلعية وذاع صيتها وأصبحت ذات حظوة بين الرؤساء والأعيان ثم بين عامة الشعب، فقد كان الغناء الخفيف تطرب له العامة قبل الخاصة.
هيفة اللذيذة	كانت تغنى الغناء الأصيل والمطولات من الأغاني°٢.
	من المغنيات المشهورات، وكانت من أعيان مغاني الدكة ولها في هذا الفن اليد الطولي، ت سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م.

^{19.} ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢٣٤.

٠٢٠. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٤٩.

۲۱. ابن حجر، الدرر الكامنه، جـ٣، ص١٦٤.

٢٢. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٥٠.

٢٥. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٨٤ – ٨٥؛ ٨٨.

مكانتهم في الدولة	أشهر مغنيين العصر المملوكي
كانت من أعيان المغانى ولها شهرة بينهن واسعة، وضيفة الحموية وهي التي أنشدت في السلطان الناصر محمد بن قلاوون قائلة٢٦.	الريسة بدرية بنت جريعة
عاشت في دمشق، إشتهرت في عصرها بالتقدم فاستدعاها الناصر فأكرمها، ثم وفدت على الملك الأشرف فحظيت عنده وكانت هذه المغنية سبباً رئيسياً في إسقاط مكس الأغاني، فقد طلبت ذلك من السلطان وأجابها إلى طلبها٢٧ ت سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م.	دينا بنت الإقناعي

الإنشاد الديني

أما عن الإنشاد الديني فهو نوعاً آخر من الغناء أو بمعني أدق التوشيحات الدينية، وهناك العديد من المُغنيين ممن إشتهروا بين قراء القرآن الكريم، وكانت لهم منزلة مرموقة في إجادة الترتيل، فلقد عرف عن هؤلاء أنهم كانت لهم مشاركات في الغناء الديني في ذلك النوع المعروف بالموالد والتوشيحات الدينية، إذن فلم يكن غريباً أن نجد في العصر المملوكي رجلاً مغني من مشاهير الوعاظ في ذلك الوقت، هو شمس الدين محمد بن حلة، يعرف عنه إلى جانب شهرته في الوعظ وأثره فيه أنه كان منشداً مغنياً ومطرباً ٢٨، واشتهر في الغناء أستاذ فن النشيد ٢٩ ناصر الدين محمد المازوني فهو أحد الأفراد في إنشاء القصيد وعمل السماع وكان من عجائب الدنيا في فنونه، كما كان صوته صوتاً كاملاً أوزائما ٣٠ مع شجاوة وحلاوة وكان رأساً في إنشاد القصيد على الضروب والحدود، له تسبيح هائل على المآذن كان يشارك في الموسيقي مشاركة جيدة، ويعظ في عقود الأنكحة، ففي شهرته ما يغني عن الإطناب ذكره ١٠٠، وتمكن من نفوس الناس بغنائه ثم بأدبه ٢٠.

وثمة مغن آخر هو الريس نور الدين على بن رحاب المُغنى الناشد المادح فريد عصره، ووحيد دهره كان من نوادر الزمان ويركز الخفائف بالألحان الغريبة، وينظم الشعر وكان أخر مغانى الدكة في الدخول والطرب^{٣٣} وقيل أنه كان من المغنيين المقربين من بلاط السلطان قايتباي، فلم يكن يخلو حفل عام يقيمه السلطان قايتباي إلا ويحضره ذلك المُغنى فقد ذاعت شهرته في الغناء وعلا صيته ^{٣٤}.

٢٦. أحمد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، ص٦٥.

۲۷. خليل البدوي، موسوعة شهيرات النساء، ص١١٣ - ١١٤.

۲۸. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص١٧.

٢٩. هو محمد ناصر الدين المغربي الأصل القاهري المغني المعروف بالمازوني، أنظر : السخاوي، الضوء اللامع، جـ١٠، ص١١٦.

٣٠. أوزانيم ولعلها زيرويم لأن الصوت الكامل هو الذى يجمع بين الطبقتين طبقة الزير وطبقة اليم، أنظر : العيني، السيف المهند، ص١٦٠؛ الفارابي، الموسيقى الكبيرة، ص٥٥٣؛ قلاً عن بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص١٩٣ حاشية١.

٣١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦١، ص١٩٣؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٣٤٦.

٣٢. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٧٦-٧٧.

٣٣. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٤٣٥.

٣٤. البقلي، الطرب، ص١٠٣.

لقد كانت شهرة بعض المُغنيين الفائقة مثل ابن رحاب بوأته منزلة بين الكبار والأمراء، وهذه المنزلة أغرت ابن رحاب أن يشارك في الحياة السياسية عن قرب وأنه كان يصطنع أغاني أو يكلف من يصنع له تلك الأغاني في هجاء بعض الأمراء الذين كانوا على عداء من يميل إليهم من أمراء آخرين، ففي عهد السلطان الظاهر قانصوه ابن قانصوه، قبض الأمير طومان باي على المُغني ابن رحاب سنة ٤٠٩هـ/ ١٤٩٨م، وكان السبب في ذلك أن ابن رحاب كان يتشيع للأمير أقبردي الدوادار الثائر على السلطان، وكان يسب الأمراء ويهجوهم بأفحش هجاء، فنقل عنه ذلك للسلطان، فوكل إلى الأمير طومان باي أن يقبض عليه وأن يضربه بالمقارع وأن يُشهر به وهو عريان الرأس على حمار ٣٠، لقد كان ابن رحاب على مستوى اجتماعي كبير، وكانت له مشاركة في شؤون البلد لاتقل عن أي مشاركة لسياسي معروف، وممن له باع أيضاً في الغناء الديني المغنى الموسيقي المعروف ببرقوق التونسي وكان بارعاً في الغناء والإنشاد وكان له شهّرة عظيمة قدم من الغرب يروم الحاج فتوفي بالقاهرة عام ٥٧٥ – ٥٧٦هـ/ ١٤٧٠ ا ١٤٧٠.

وكانوا يطلقون لفظ أستاذ على المغنى ولفظ الريسة على المغنية 77 ويحدثنا إبن إياس عن وفاة بعض المغنيين الذين كانت لهم شهره كبيره أيضاً في العصر المملوكي فيذكر في حديثه عام 8 8 م عن وفاة الواعظ الناشد المادح أبو الفدا الذي كان من أعيان دواخل مصر في حسن الصوت وجودة الغناء وكان لا بأس به 8 وعام 8 9 8 8 8 9

وقد ظهر أيضاً من المقرئين الواعظين التقى بن الثقة الإسنائى صالح بن عبد القوي فقد كان أول أمره مقرئاً حسن الصوت ثم أصبح بعد قليل موسيقياً مغنياً أن ومن الوعاظ المشهورين الذين أقبل الناس عليهم ابن قرادح أحمد بن محمد القاهرى يقبل عليه الناس ويتلهفون لسماعه وهو يعظهم بسحر كلامه ولكنه كان إلى جانب هذا شاعراً له الشعر الحسن، ثم يلحنه ثم يغنيه، كما كانت له اليد العليا في الضرب على العود، ولقد عرف حسن صوته حينما كان يؤذن به، ويقال أن المؤيد كان يميل إلى سماع صوته وهو يؤذن، وكان يستصحبه في رياضاته وخلواته، ومن المرجح أن يكون احتضان المؤيد له وميله إلى الاستماع منه هو الذي شجع ابن القرادح إلى أن يهجر الوعظ إلى الغناء ٢٤.

وقد تألق نجم كثير من أهل هذه الفنون بدليل ما ذكره ابن الصيرفي في سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م، عن وفيات تلك السنة أنه مات خمسة أنفس في شهر واحد من أصحاب النغم والآلة لم يخلف نظيرهم وهم علم الدين سليمان المادح

٣٥. البقلي، الطرب، ص ١٠٤ -١٠٥.

٣٦. ابن اياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٤٣٥.

٣٧. الريسة تعنى القائمة على فرقة غنائية ومعها الطبالون والزامرون والراقصات والريس كذلك أيضاً وهم يعنون بذلك أنها إليها إنتهت رياسة فرقة غنائية بعينها، أنظر : محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، ص٢٤، ٨٩.

٣٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٠١.

٣٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٣٨.

[•] ٤٠. محد قنديل البقلي، الطرب، ص ٩٧ – ٩٨.

٤١. محد قنديل البقلي، الطرب، ص٢٣.

٤٢. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٢٣ – ٢٤.

ابن يوسف، وإبراهيم بن الجمال المغنى وأخوه خليل المشبب، وعلى بن الشاطر، والمعلم إسماعيل الدحيجاني والذي أبدى أسفه الشديد لما لحق هذه الفنون من خسارة لموت هؤلاء "٤ ونال الريّس إبراهيم بن الجندى المغنى ٤٤.

وقد كان بعض السلاطين يفضل مغنى على مغنى آخر، ففي حوادث سنة ٩٧٠ – ١٤٦٥ – ١٤٦١م، أن على بن رحاب المغنى عمل سماعاً في باب الوزير في التبانة، فقامت في تلك الليلة هرجة هناك، فقتل فيها قتيل، فعندما علم السلطان بذلك رسم بنفي ابن رحاب إلى الشام فخرج وهو في الحديد وعندما وصل إلى غزة شفع فيه عند السلطان القاضى أبو الفضل بن جلود، كاتب المماليك فرسم بعودته إلى مصر فعاد وكان السلطان يميز إبراهيم بن الجندي المغني على على بن رحاب في الغناء ٥٠٠.

وعلى الرغم من وجود المغنيين الرجال والنساء إلا أن السلاطين كانوا يؤثرون المغنية على المغني ولم يكن السلاطين فقط بل الأمراء والناس جميعاً وكأنهم كانوا متأثرين بقول الثعالبي في كتابه «تحفة الأرواح وموائد السرور والأفراح» أن غناء الجواري ذوات الحُسن والدلال له موقع أحسن من موقع غناء الرجال وإن كان أجود منه ويبدو أن الناس قد آمنوا بمقولة الأصفهاني بأن «نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله» حيث أن السامع لاشك مجذوب في سماعه للجواري بشيئين هما حسن الصوت بالإضافة إلى الجمال وحسن الهيئة، وهذا يوضح لنا ما كان لهؤلاء الجواري المغنيات والعازفات من حظوة لدى السلاطين المماليك أولاً ثم أمرائهم ثانياً ثم عامة الناس من بعدهم، فالناس على دين ملوكهم أنه .

ومما سبق يتبين لنا أن العصر المملوكي لم يقتصر فقط على وجود بل شهرة المغنيات النساء فقط بل نال الرجال حظاً وافراً من الشهرة مثلهم مثل النساء إن لم يكن تفضيل العنصر النسائى على العنصر الرجالى في الغناء كما سبق أن ذكرنا وذلك لحسن أصواتهن وجمال أشكالهن فأتين الحياة من أوسع أبوابها وكانت لهن تلك المنزلة التي فضلتهن على المغنيين، فإليهن وحدهن كان التطريب في الأفراح وفي الحفلات وفي الحروب ثم في المآتم ٤٠٠.

لغة الغناء

كانت أغانى الناس حضارية فى العصر المملوكى، وكانت لهم أيضاً موسيقى حضارية ممتزجة بأصول عربية وفارسية وتركية، أعنى تلك الأغانى العربية الأولى التي إنضاف إليها مع الزمن ما جد عن الأتراك، فنحن نعلم أن الأغانى العربية الأولى تضرب بأصول عريقة في الفارسية، ونقل المؤرخون للموسيقا ضروبها وأوزانها وأسماء آلاتها إلى العربية من الفارسية، وإمتد هذا إلى أن كان الإختلاط بالأتراك الذين نقل عنهم فيما نقل أصوات تركية وضروب تركية وإيقاع تركى.

^{23.} ابن الصيرفي، نزهة النفوس، جـ١، ص١٦٩.

٤٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٦٠٦.

ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٤.

٤٦. محمد قنديل، الطرب، ص١٠٠.

٤٧. محمد قنديل، الطرب، ص٧٨.

ولقد شهد العصر المملوكي هذا الضرب من الغناء الذي هو مزيج بين عربى وفارسى وتركى، هذا النمط السائد في العصر المملوكي الذي كان يسود الحفلات الرسمية، ولكن لم يكن معنى ذلك أن الناس في العصر المملوكي كانوا جامدين على الإستماع إلى هذا اللون الغنائي الرسمي العربي الفارسي التركي، بل لقد كانت لهم مشاركة في الأغاني الشعبية والبدوية التي كانت تجيدها وتؤديها جوقات المحبظين، فجوقات المحبظين كانت متخصصة في الأداء الشعبي البدوي، وهو اداء فيه التزام بموروث لا يعدل عنه كما سوف نوضح في الصفحات التالية .

طائفة المغانى وعلاقتها بضامنة المغانى

تعريف الطائفة

يمكن تعريف الطوائف بأنها هيئات مستقلة ذات تنظيم خاص وكيان معين، ينضم إليها في أغلب الأحوال كل مشتغل بالصناعة أو التجارة أو بأى عمل آخر، فالطائفة تضم أصحاب الحرفة الواحدة أو المهنة الواحدة وكان لكل طائفة دستورها غير المكتوب من عادات وتقاليد موروثة ⁶³.

وعرف ابن منظور في كتابه لسان العرب بأن الطائفة هي الجماعة من الناس وتقع على الواحد كأنه أراد نفساً طائفة، وسُئل إسحق بن راهوبه عنه فقال الطائفة دون الألف ويبلغ هذا الأمر إلى أن يكون عدد المتمسكين بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ألفاً يسلى بذلك أن لا يعجبهم كثرة أهل الباطل محمل ورد أيضاً أن الطائفة من الشيء واقعة منه، وقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، قال ابن عباس رضى الله عنهما الواحد فما فوقه وطالما نتحدث عن طائفة المغانى فيجدر بنا أن نذكر أنه لم يظهر للمرأة أثر في تنظيمات طوائف الحرف، ولم نعثر على ذكر لهن في الطقوس والحفلات الطائفية ولم نجد لهن طوائف اللهم إلا العاهرات كما ذكر حسين رمضان ٥٠.

٤٨. محمد قنديل، الطرب، ص ١٢٤ - ١٢٥.

٤٩. ليلي عبد اللطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام، ص٥٨.

٠٥. ابن منظور، لسان العرب، جـ٧٠، ص ١٣٠ - ١٣١.

١٥. الرازي، مختار الصحاح، ص٤٠٠.

٥٢. حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين ودورهم والاجتماعي في مصر، ص٢١٦.

وقد احترفت النساء الموسيقى والغناء ٥٣ والرقص ٥٠ كما إحترفت بعضهن الدعارة ٥٥ البغاء ٥٦ وكانت تشرف عليهن سيدة تعرف بضامنة المغاني ٥٠ تتولى جمع الضرائب منهن كما كانت تجمعها أيضاً من حرف نسائية أخرى مختلفة بل ومتناقضة مع هذه الحرف، إذ كانت أيضاً مسؤولة عن الواعظات والقارئات والندابات ٥٠.

يمكن القول بأن حرفة طائفة المغانى لم يكن لها نقيب لأنه يجب أن يكون لزاماً على كل من يريد أن يتولى النقابة أن يجتهد في طلب العلم وأن يكون عارفاً بصناعته ومن ذوى العدالة.

وقد كان دور ضامنة المغانى أن يتتبعن أخبار الجوارى اللاتى يحسن ويجُدن الغناء والطيبات صوتاً ثم يتوليهن بالتدريب والتثقيف ولا يبخلن عليهن بأن يسلمهن إلى عوادين، كما فعلت ضامنة المغانى بالجارية «إتفاق» حين سلمتها إلى الأستاذ عبد على العواد، والشئ الذي يجب ألا يفوتنا هنا أن نذكر أن ضامنات المغانى هؤلاء لم يكن في القاهرة وحدها بل كن في غير القاهرة في بلاد غير معروفة أو مشهورة كمدينة بلبيس، وهذا يعنى ما كان للجوارى المغنيات من شأن في ذلك العهد ٥٥، والذي يجب ان نذكره هنا أن ثمة معلمات ومعلمون يقمن ويقومون على تدريب

.Dozy, supplément, p. 581; Quatremère, Histoire des sultans mamlouks, p. 36, Ashtor, A Social Economic History, p. 187.

٥٦. ظهر البغاء في مصر القديمة وظل بها حتى عهد الرومان حيث كانت المعابد تشتمل على نساء يحترفن الدعاره، وكان هذا مورداً رسمياً معترفاً به، أنظر: نجية إسحق عبد الله، فرج عبد القادر طه، سيكولوجية البغاء، ص٤٤؛ محمد نيازى حتاته، جرائم البغاء دراسة مقارنة، ص١٨. ويحدثنا التاريخ عن إنتشار البغاء في بابل واليونان وفي روما على وجه الخصوص بصورة لم تعرفها غيرها من المدن القديمة، أما عند العرب في الجاهلية فكانت البغايا تقمن في بيوت خاصة وتؤدين الضرائب المفروضة عليهن، وعقب دخول العرب مصر ظل البغاء خفياً فترة من الزمن، ثم بدأ يظهر جهراً وقد فرضت عليه الضرائب، ففي عهد الفاطميين كان التقليد السائد هو إتاحة إشباع الشهوات في الأعياد فكانت البغايا تخرجن متبرجات إلى الشوارع بعرض أنفسهن على من يريد إشباع شهوته، أنظر: حسن الساعاتي، مشكلة البغاء، ص١٧٧ نجية إسحق، فرج عبد القادر، سيكولوجية البغاء، ص٢٤. وقد كانت هذه الفئة منبوذة من المجتمع، ,288 beauvoir , The Second Sex, p. 288 والبغايا هم الخواطي كها كانوا يطلقون عليهم في العصر المملوكي ولعل ذلك بسبب إحترافهم الغناء في الظاهر، http: hartaka.blogspot.com ولم المملوكي، ولعل ذلك بسبب إحترافهم المعناء في الظاهر، ١٣٥٠ - ١٣٨٠.

٧٥. قيل أن الضامن وجمعه ضمَّن وضهان الملتزم (Bermier) الذي يتولى لحسابة جمع ضريبة من الضرائب أو مكس من المكوس التي يفرضها السلطان أو الأمير ويضمن في مقابل تولية ذلك مبلغاً من المال يدفعه إلى الجهة المختصة في أوقات منتظمة كل سنة، أنظر: المقريزي، الخطط، جـ١، ص٧٩. يذكر المقريزي أن الشخص المكلف بدفع الضهان كان يقيم من تحت يده رجالاً على الطرقات لرد الهاربين ويقوم للديوان في كل سنة بمال، أنظر :المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٥٣٨.

٥٣. حسن الباشا، أثر المرأة في فنون القاهرة، ص١٧١.

٥٤. الجبرتي، عجائب الاثار، جـ٣، ص٧، ١٧٠.

^{00.} قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتهاعي، ص ١٣٩ - ١٤٠؛ قاسم عبده قاسم، أسواق مصر في عصر سلاطين المهاليك، ص ١٣٠ - ١٤٠؛ بن بطوطه، الرحلة، جـ١، ص٣٥؛ ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص ٢٦٧ - ٢٧٠، جـ٢، ص ١٤١ - ١٤٢؛ زكى مبارك، التصوف، جـ١، ص ٣٤٠. لزيد من التفاصيل عن مهنه الدعارة أو البغاء والبغايا وملابسهن وأماكن تواجدهن. أنظر: المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٢، ص ٢٥٠، جـ٣، ق١، ص ٢٦٠، جـ١، ص ١٦٠، جـ٣، ق١، ص ٢٦٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص ٤٨٦، جـ٢، ص ١٤؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص ١٦٨، جـ٣، ق١، ص ١٦٠؛ ابن العيرفي، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص ١٦٨، جـ٣، ص ١٤٠؛ ابن حجر، إبناء الغمر، جـ١، ص ١٦٧؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص ٤٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ١٠ - ١١، جـ٥، ص ٤٤٠؛ المقريزي، الخطط، جـ١، ص ١٤٤؛ من ١٩٢٠؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٠؛ أقلم عبده قاسم، عصر سلاطين المهاليك، ص ١٥، ٣٦٣؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري عصر سلاطين المهاليك، ص ١٥، ١٦٠، ولمزيد من التفاصيل عن البغاء، أنظر: سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص تاريخ عمل المرأة المصرية، ص ٣٠ - ٢٠. ولمزيد من التفاصيل عن البغاء، أنظر: سامية علي مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، ص ١٠ - ١٠٩.

٥٨. قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر، ص١٣٩.

٥٩. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٤٧.

الجوارى على الغناء، وأنه على أيدى هؤلاء نشأت كثرة من الجوارى المغنيات وحذقن الغناء وأجدن فيه، أي أن وظيفة هذه الضامنة هو شراء الجوارى المغنيات وتُعلمهن الغناء والضرب بالعود ' ونسمع أن الجوارى الحبشيات كن يتخصصن في الغناء المعناء ١٦.

هذا وقد كان ضمان المغانى يدُر للدولة مالاً كثيراً وأرباحاً لا حصر لها لذلك إعترفت الدولة بالبغاء والبغايا وقررت عليه ضريبة وإعترفت بالمغانى، وقد تدخلت ضامنة المغانى هذه في كل أمور النساء الكبيرة والصغيرة، فتدخلت في الأعراس سواء السلطانية أو أعراس عامة الشعب، والمرأة التي تخضب يدها بالحناء فرضت عليها ضريبة هذا إلى جانب أن تلد وتضع مولود تفرض عليها أيضاً مال مقرر، وغير ذلك من أمور مختلفة.

وقد كانت لضمانات المغاني ثروات طائلة وضخمة لا تُعد ولا تُحصى من كثرة ما سبق ذكره من جمع أموال من هنا وهناك، كما سبق أن ذكرنا والدليل على ذلك ما ذكره ابن إياس عن ضامنة المغاني والتي كانت تدُعى هيفا اللذيذة، قد رافعها بعض أعدائها بأن لديها أموال كثيرة وعندما سمع السلطان الغورى ذلك سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، قبض عليها وعرضت للضرب أكثر من مرة، وقرر عليها خمسة ألاف دينار ٢٠ وقيل أن هيفا اللذيذة هذه كانت من المغنيات المقربين إلى السلطان الغورى وقد كانت رئيسة المغنيات في عصرها.

والشيء العجيب هنا أن من فعل فرحاً بأغان أو نفس إمرأه بغير إذن الضامنة حل به بلاء ومكر لا يوصف، وطالما أن الدولة إعترفت بكل هذا إذن فالمرجح أن يكون هناك ديوان له شاد ٢٣ على الأقل، وأن لفظ المغاني يشتمل على كل شيء بداية بالغناء ونهاية كل شيء به عمل الفاحشة، وكل هذا كان يأتي للدولة بأموال عظيمة لا حصر لها لذلك إعترفت الدولة به وفرضت عليه الضرائب والتي كانت ضامنة المغاني وشاده هم المسؤولين عن دفع الأموال لخزينة الدولة.

دور طائفة المغانى في المناسبات المختلفة الخاصة بسلاطين المماليك والأعياد والحفلات المختلفة

شغف كثير من سلاطين المماليك بالموسيقي والغناء حتى جرت العادة أن يكون لكل سلطان أو ملك جوقة ٢٠ من المغانى في داره، ودفع ذلك بعض السلاطين إلى تقريب أرباب الموسيقى والغناء إليه فإذا سمع بمغنى أرسل في طلبه

٦٠. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧١٥.

^{71.} على السيد على، الجوارى، ص١١.

٦٢. إبن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، حوادث سنة ٩١٨هـ؛ عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، ص٣٦- ٣٧؛ على السيد على، الجواري، ص٥٥.

^{77.} استحدثت وظيفة شاد الدواوين في عصر الناصر محمد بن قلاوون، وقد إرتفع شأن شاد الدواوين وذلك في حالة عدم وجود وزير في الدولة، ومن مهام شد الدواوين تحصيل المال وصرف النفقات، وهو كان يصاحب الوزير متحدثاً في استخلاص الأموال إذ قال القلقشندي عن صاحبها رفيقاً للوزير متحدثاً في إستخلاص الأموال أنظر : حسن الباشا، الوظائف، جـ٢، ص١٦٢؛ المقريزي، السلوك، جـ٢، ص٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٢.

^{35.} ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٥٥؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٧٩٢؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٤٨. والجوقه هي المجموعة الكاملة من المغاني، قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المإليك، ص٣٣٥.

وكلفه بتعليم جواريه فن الغناء 77 كما فعل الناصر محمد بن قلاوون مع المغنى كتيلة بن قرانغان 77 ، وكذلك إتفاق العوادة 77 التي اشتهرت بالغناء وطلبها السطان شعبان ومن بعده أخيه المظفر حاجى 77 ، هذا وقد كان الفن الراقى وقفاً على القصور وساكنيها 79 فقد كان الرقص والغناء من الأعمال التي قامت بها الجوارى والتي تتعلق بالترف والرفاهية، وذلك لأن مجالس الدولة كانت سمة من سمات القصور الإسلامية، كما أقبل عليها الأمراء وكبار رجال الدولة، وقد ظهر هذا منذ القدم فقد شجع الطولونيون الغناء فكان خماروية بن أحمد بن طولون يجلس للشرب والمغنيات من حوله كما بني في داره مجلساً عرف ببيت الذهب رسم على حيطانه صور بعض المغنيات، وكان الإخشيديون والفاطميون أيضاً مولعين بسماع الغناء والرقص 79 ، وأقبل الناس حكاماً ومحكومين على فنون الطرب واللهو والملاهي ومتع الحياة ولذاتها ولم يدخر سلاطين المماليك وأمراءهم بصفتهم الطبقة الحاكمة وسعاً في الإقبال على المطربين والمطربات وتشييد المغانيات التي هي قاعات خصصت لسماع الغناء والطرب والإستمتاع بمشاهدة الرقص وسماع الموسيقي 19 باعتبارهم قد ورثوا محبة الفنون والغناء عن أسلافهم الفاطميين والأيوبيين 79 .

كما كان الغناء والشراب من أشهى ضروب اللهو في حياة المماليك وكانت دنياهم تموج بالطرب والعطاء وإقتناص اللذائذ والشهوات والإسراف فيها ليلاً ونهاراً، ولقد كان لهذا التيار الجارف أثره في نفوسهم، حيث أصبح الغناء ضرورة من ضرورات حياتهم لا يعيشون إلا به، ولا يرون الحياة سهلة جميلة إلا على ضرب الأعواد ونقر الدفوف وترنيم الأشعار وألحان الغناء، ولقد بلغ من إمتزاج الغناء بنفوسهم أن كان بعضهم يتعشقه، ولا يطيق العيش بدونه ٢٠٠٠ وهنا يجب أن نشير إلى أن المماليك في حبهم للغناء وإقبالهم عليه لم يكونوا دخلاء ولا مرتجلين بل كان منهم من يتقن العزف على الآلات الموسيقية، ويفهم الغناء فهماً حسناً ويقرب أربابه ٢٠٠٠.

ومن المناسبات الخاصة التي لعبت فيها المغانى دوراً هاماً عصر سلاطين المماليك هي حفلات الختان ففي عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، ختن السلطان الأشرف شعبان بن حسين وعمل فرحاً عظيماً أنفق فيه من الأموال ما لا يحصى وظهر فيه من الفواحش والقباح ما لا مزيد عليه ٧٠، ويستمر الإحتفال بالختان لمدة سبعة أيام وفي طرقات القاهرة

٦٥. ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢٦٥.

^{77.} ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ٣، ص٢٦٥، ترجمة: كتيلة بن قرانغان.

٦٧. هي جارية سوداء إشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلبيس وعلمتها الضرب بالعود على الأستاذ عبد الجواد على العواد فمهرت فيه وكانت حسنة الصوت فقدمتها لبيت السلطان الملك الصالح إسهاعيل، أنظر: بن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٢١؛ محمد بن حسين بن عقيل، المختار المصون من اعلام القرون، ص٤.

٦٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢٠.

^{79.} قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص٣٣٥.

٧٠. المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣١٦ – ٣١٧؛ محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضاره الإسلاميه في الشرق، ص١٩٠؛ سيدة كاشف، مصر في عهد الإخشيدين، ص٢٧٥؛ نريهان عبد الكريم، المرأة في العصر الفاطمي، ص١١٣.

٧١. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص ٤٣ - ٤٤؛ على السيد على، الجواري، ص ٨٠.

٧٢. محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، جـ١، ص ٢٨١ - ٢٨٥؛ على السيد على، الجواري، ص٠٨.

٧٣. النويرى، نهاية الأآرب، جـ٤، ص٥٦، على السيد على، الجوارى، ص٨٠.

٧٤. على السيد على، الجواري، ص٨١.

٧٥. ابن حجر، أنباء الغمر، جـ١، ص١٠٣.

وأزفتها كانوا يحشدون لتلك الاحتفالات المغنون في الأسواق والمغنيات في البيوت V1 ، يدعو السلاطين المغنيين لحضور حفلات ختان أبنائهن كما حدث عام AA م AA م فقد ختن الملك المنصور عثمان بن الظاهر جقمق أو لاده بدمياط، وتوجه المغني ابن رحاب ومشى في الزفة وكان مهماً حافلاً V1 ، وقد طلب السلطان المؤيد أحمد بن الأشرف إينال عام AA م في ختان إبنه المُغنى على بن رحاب ليحضر الزفة V1 .

كما شارك جميع سائر مغانى البلد عام ٩٩٥هـ/ ١٤٨٩م في الاحتفال بختان ولد السلطان المقر الناصر محمد الذي تسلطن بعده وكان عمره يومئذ نحواً من سبع سنين وأشهر وكان الإحتفال بالقلعة سبعة أيام متوالية، فاجتمع سائر مغانى البلد وأمر السلطان بأن تزين القاهرة فزينت زينة حافلة ٢٩، وعلي الجانب الآخر نجد أن السلطان الظاهر بيبرس في ختان ابنه الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان، وعدة من أولاد الأمراء إتخذ موقفاً غريباً، فلم يعطى المغانى وأرباب الملاهى أى شيء، ولم يحضروا ختان إبنه، ولم تنفق لهم طوال أيامه سلعة، ولا نالهم منه رزق البتة ٨٠.

وتتوالي المناسبات المختلفة التي شجع فيها سلاطين المماليك على حضور المغانى وإغداقهم عليهن 1 فأفراح السلاطين وأبناءهم كانت مهرجاناً العادة فيها إستحضار المغنيات وضاربات الدفوف، كعُرس السعيد بركه خان بن الظاهر بيبرس 1 وقد ظهر دور المغانى في حفلات الزواج والأعراس التى كانت تمتد ليالى وليالى وقد تمكث شهراً، وفي كل ليلة كان يعرض غير ما يعرض من الليالي الأخرى، فإذا إمتدت تلك الحفلات شهراً مثلاً رأيت في كل ليلة من ليالى 1 ذلك الشهر جديداً، ولقد كان الغناء هو أهم ما تعمر به تلك الليالى ومعه الزمر والطبل في الأعراس الخاصة بجميع سلاطين المماليك، ففي عام 1 1 من من كان عرس أمير على بن أرغون النائب على إبنة الناصر محمد بن قلاوون، وكان فيه ثمان جوق من مغاني القاهرة، وخص كل جوقة من جوق القاهرة بخمسمائة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير 1 وأحيت طائفة المغانى أيضاً عرس الأمير قوصون على إبنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقيل أن المغانى حَصَل لهن من النقوط في هذا العرس عشرة ألاف ديناراً مصرية 0 ويعتبر عُرس الأمير أنوك سنة 1 1 المالاهي إلى الدور السلطانية 1 وكانت المغانى تضرب بالدفوف، وأنواع المال من الذهب بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي إلى الدور السلطانية 1 وكانت المغانى تضرب بالدفوف، وأنواع المال من الذهب بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي إلى الدور السلطانية أله وكانت المغانى تضرب بالدفوف، وأنواع المال من الذهب

```
٧٦. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٣٦.
```

٧٧. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص١١٥.

٧٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص١٩٣.

٧٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٥٢ - ٥٣.

٨٠. المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٦١٢.

الماليك، صحيد عاشور، المجتمع المصري عصر الماليك، ص١١٦.

۸۲. ابن حجر، إنباء الغمر، جـ۱، ص٥٦، جـ٢، ص٧٦؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص١٤٨؛ المقريزى، السلوك، جـ١، ق٢، ص٣٢؟ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١١، ص٢٧؛ المقليزى، الخطط، جـ٢، ص١١؟ أبو الفدا، تاريخ ابو الفدا، ص٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ١٤، ص ٣٤١ - ٣٤٤.

٨٣. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٣٥.

٨٤. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق١، ص ٢٤٩.

٨٥. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق١، ص٢٨٨.

٨٦. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٤٣ - ٣٤٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٣٢.

والفضة وشقق الحرير تلقي عليهن فحصل لهن ما يجل وصفه ^{۸۸} وإستمر المهم سبعة أيام بلياليها ^{۸۸}، حتى مهر العريس لعروسه وتقديمه لها كان للمغانى دوراً فيه، فقد حُمل مهر الأمير بكتمر جلق نائب الشام إلى بنت السلطان الناصر فرج بن برقوق بزفة ورقص وزغاريد من المغانى حتى دخل دار السعادة، ثم عقد العقد بحضرة السلطان والأمراء والقضاة ^{۸۹}.

هكذا شجع سلاطين المماليك حضور طوائف المغانى في أفراحهم وأفراح أبناءهم وكانوا ينفقون بل يبعثرون الأموال والذهب والخلع المختلفة على هؤلاء المغانى، فعندما تزوج السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ببنت الأمير طقزدمر عمل لها عُرساً مهماً لمدة سبعة أيام بلياليها إجتمع فيه نساء الأمراء جميعاً وكانت فيه عدة جوق من المغانى، حصل لهن من الذهب والفضة، وأنواع الحرير شيء يجل وصفه، وبلغ نصيب ضامنة المغانى بمفردها ثمانية ألف درهم سوى بقية المغانى .٩

ظهر أيضاً دور المغانى عندما كان السلطان يلعب الكرة ويفوز في لعبه فقد كان يقيم حفلاً بوليمة تحضرة المغانى من كل مكان، ففي عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م في عهد المظفر حاجى ركب السلطان المظفر حاجى مع أمرائه الخاصكية ٩١، ونزل إلى الميدان، ولعب بالكرة فغلب الأمير ملكتمر الحجازى في الكرة فلِزَم الحجازى عَمَل وليمة في سِرياقوس، ذبح فيها من الغنم حوالى خمسمائة رأس، وعشرة أفراس، وعمل أحواضاً مملؤة بالسكر المُذاب، وجمع سائر أرباب الملاهى، وحضرها السلطان والأمراء ٩١ وكان للمغانى دوراً عظيماً في هذا اليوم.

بالإضافة إلى ذلك فقد إنتهز بعض سلاطين المماليك فرصة الخروج إلى الصيد للتحرر من قيود الملُك، فارتكب بعضهم في هذه المناسبة كثيراً من المعاصى وتجاهروا بالفواحش، والدليل على ذلك أن السلطان شعبان إصطحب معه عند خروجه للصيد عدداً من الغواني وجرار الخمور وأرباب الملاعيب والملاهي والمغاني ^{٩٣} إلى جانب أن السلطان الناصر فرج بن برقوق كان عند خروجه للصيد يجمع أرباب الملاهي والمغاني ويأخذهم معه في رحلته للصيد، وقد بلغ عدد المغاني في عهده حوالي جوقة ٩٤ كما خصص يومي الأحد والأربعاء لشرب الخمر ٩٠٠.

والشيء الذي يثير الدهشة أن هناك من السلاطين من سُجن وإصطحب في سجنه أرباب اللهو والمغاني، فالملك المنصور محمد بن السلطان حاجى ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م، كان محباً للهو والطرب، راضياً بما هو فيه من العيش الطيب،

٨٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٠١ - ١٠٢؛ المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٤٦.

٨٨. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٠١؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٣٢.

٨٩. المقريزي، السلوك، جـ٤، ق١، ص٧٠١؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ص٨٨- ٨٩.

٩٠. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٣، ص١٩٠ - ٦٩١.

^{91.} لفظ مملوكي مفرده الخاصكي، وهم نوع من الماليك السلطانية نجتارهم السلطان من الماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم في حرسه الخاص، وجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المتقدمين، ويحضرون في طرفي كل النهار في خدمته، ويركبون مركوب السلطان ليلاً ونهاراً، ويتوجهون في المهات الشريفة ويتأنقون في مركبهم وملبوسهم، انظر : محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٦٦٠.

۹۲. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠ ص٥٥١.

٩٣. المقريزي، السلوك، جـ٢، ص٥٤٧، جـ٤، ص٤٦- ٤٧؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٨١.

٩٤. سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٩٥.

^{90.} إبن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ص١٠٤ - ١٠٥، جـ٢، ص٤١.

وكان له مغان عدة جوقة كاملة، زيادة على عشر جوار يعرفن بمغانى المنصور ٩٦، وعندما سُجن بعد خلعه من السلطنه عام ١٣٦٤هـ/ ١٣٦٢م، كان يُسلى نفسه في سجنه بالقلعة، بالشرب وسماع المغانى ومشاهدة الملاح، فكان لا يصحو من السُكر ليلاً ونهاراً ٩٠ وعندما مات الملك المنصور إستمرت جواريه المغانى يعملون الأفراح للناس، وكانوا يعرفون بجوقة المنصور ٩٨.

وكان السلطان الناصر حسن يحب اللهو والطرب ويميل إلى شُرب الراح، وحُب القيان من النساء الملاح، وكان يميل إلى سماع الآلات ويقرب المغانى ويحب أرباب الفن من المغانى قاطبة ٩٩، وإصطحب سلاطين المماليك المغانى معهم في الخروج إلى النزهة والرحلات المختلفة، فعندما توجه السلطان الناصر حسن إلى كوم برانا طابت له الإقامة هناك، فأقام بها نحو ثلاثة أشهر، وكان بالقاهرة في هذا الوقت أوخام ووباء مع أمراض شديدة بالناس، فاستمر مقيماً هناك وهو في أرغد عيش، وكان في كل ليلة يحضر عنده مغانى عرب، ويحرق إحراقات نفط وكانت الأمراء تتوجه إلى هناك و تعطى الخدمة للسلطان في كل يوم إثنين وخميس الأسراء .

أضف إلى ما سبق أن السلطان المؤيد شيخ ٨٢١هـ/ ١٤١٨م، كان يحب الموسيقي، وينظم الشعر والفن وله أشياء كثيرة من نظمه دائرة بين المغانى، وكان يقرب المغانى وأرباب الفن ٢٠١ فعندما توجه السلطان المؤيد شيخ إلى بيت الأتابكى ألطنبغا القرمشى ليزوره عندما كان مريضاً، فخرج من عنده، وتوجه إلى بيت جقمق الدوادار فأقام عنده إلى آخر النهار وحضر عنده المغانى والموسيقين، إنشرح السلطان في ذلك اليوم ٢٠٣ فقد كان يُحب اللهو والطرب ويقضى غالب أيامه في اللهو والنزهة والطرب.

ويحدثنا عبد الوهاب عزام في مؤلفه مجالس السلطان الغورى عن الشريفى مترجم الشاهنامه عن مدى عناية السلطان قانصوه الغورى بالموسيقى وإستصحابه كبار الموسيقين وأن له موشحات وألحان كان أرباب المغانى يتغنون بها طوال عصره.

ويمكن القول أن العصر المملوكي قد سادته موجة من إقبال السلاطين في شغف ونهم على السماع بمختلف ضروبه غناء وموسيقي، فالغناء كان صورة واضحة لحياة الناس الاجتماعية والسياسية والعقلية في ذلك العصر ١٠٠٠.

٩٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٨.

٩٧. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٩٩٥.

۹۸. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٩٣٥.

٩٩. ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٧٩.

^{11.} كوم برا: بفتح أوله ويروى بالضم وأصله الرمل المشرف، وقال ابن شميل: الكومة تراب مجتمع طولة في السياء ذراعان ويكون من الحجارة والرمل والجمع كوم، وهو إسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها أو إلى شيء عرفت به، أنظر: ياقوت الحموى، معجم البلدان، محـ3، ص ٥٩٥، وعند الرجوع إلى محمد رمزى، القاموس الجغرافي، أحال كوم برا إلى كومبره بمركز إمبابة. أنظر: محمد رمزى، القاموس الجغرافي للبلد المصرية، ق١٠، البلاد المندسة.

١٠١. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٧٣.

۱۰۲. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٤، ص١٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٣٧؛ محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، ص٤٨ –٤٩.

١٠٣. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٣٧.

١٠٤. ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، جـ٦، ص٣٠٦؛ محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، ص٨٢.

١٠٥. عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، ص١٧ - ٣٨؛ على السيد على، الجواري، ص٨٢.

وقد جرت العادة أيضاً أن يحتفل بشفاء السلطان إذا ألم به مرض ثم عوفى من هذا المرض، فتستمر الأفراح سبعة أيام بالقلعة إلى جانب سائر بيوت الأمراء، وكذلك تُضرب ١٠٠ البشائر والكوسات ويجتمع أصحاب الملاهى بأمر السلطان بالقلعة إلى جانب سائر بيوت الأمراء، وكذلك تُضرب ١٠٠ البشائر والكوسات ويجتمع عندما يتم شفاؤها يحتفل السلطان بالقلعة ١٠٠ فعندما كان السلطان يسمع بمرض زوجته كان يزورها بإستمرار، وعندما يتم شفاؤها يحتفل بذلك إحتفالاً عظيماً ويتردد عليها أعيان الدولة من الأمراء والقضاة، والأكابر للتهنئة ويجتمع عند بابها أرباب الطبول والملاهى والمغانى أيضاً، ثم بعد ذلك تعود خوند ١٠٠ إلى بيتها بالقلعة في موكب رائع وحولها المشاعل والشموع والفوانيس ١٠٠، وكانت تزين الحوانيت والأسواق في حالات شفاء السلطان من أحد الأمراض كما حدث سنة ١٩٦٧هـ/ ١٢٩٧م بعد شفاء السلطان حسام الدين لاجين من كسر يده نحو الشهرين ونزل إلى الميدان، ودقت البشائر ١٠٠ وحضرت المغانى من كل مكان، وعندما عوفى السلطان الناصر محمد بن قلاوون من مرضه عام ١٣٧٠هـ / ١٣٢٩م، زيُنت القاهرة ومصر وتفاخر الناس في الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها وإستمرت أسبوعاً تفنن أهل البلاد فيها بأنواع الترف، وقد إجتمع المغانى وأرباب الملاهى في أماكن مختلفة ومعهم جميع آلات المغنى ١١٠.

وأيضاً لعبت طائفة المغانى دوراً آخر عندما شُفِيَ السلطان الناصر محمد من مرضه عام ١٧٤هـ/ ١٣٤٠م، فقد جُمعت أرباب الملاهى بالقلعة، وحصل لأرباب الملاهى ما لا ينحصر ١١٢ وقد كان للمغانى دوراً كبيراً عند مرض السلطان الأشرف قايتباى وشفائه عامى ٨٧٦هـ - ١٨٩هـ / ١٤٧١م، ففي عام ٨٧٦هـ / ١٤٧١م، شُفى السلطان الأشرف قايتباي من مرضه فإجتمع بحريم السلطان من المغانى والفرح ما يليق به ١١٣٠.

وفي عام ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م، شفى السلطان الأشرف قايتباى من مرضه فاصطفت المغانى له عند رجوعه من الجامع ودقت البشائر وزينت القاهرة ١١٤ وكان للمغانى دوراً كبيراً في الزفة وإستقبال السلطان عند شفائه من مرضه.

وعلي الرغم من أن الحج تكفير لبنى أدم عن ذنوبهم، لكن ذلك لم يمنع سلاطين المماليك من إستقبال طوائف المغانى لهم وأرباب الطبول والملاهى عند عودتهم من الحج، ففي عام ٢٧٠هـ/ ١٣٢٠م، عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعد قضاء مناسك الحج، وخرج الأمراء للقائه ببركة الحجاج، وركب السلطان بعد إنقضاء السماط في موكب عظيم وقد خرج الناس لرؤيته حتى طلع القلعة، فكان يوماً مشهوداً زينت فيه القاهرة ومصر زينة عظيمة لقدومة وكثرت التهانى، وأرباب الملاهى من الطبول والزمور ١١٥٥، وفي الحج أيضاً كانت تقام الأفراح والولائم وضرب

١٠٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٦٤.

١٠٧. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٥.

١٠٨. كان يطلق على الملكات والأميرات وهو خاص بزوجات السلاطين، انظر: خليل بن شاهين، زبدة كشف المهالك، ص١٢١، وخوند أصلها خدواند وهي لفظة فارسية تعني السيد أو السيدة وتفيد الاحترام والتبجيل، أنظر: السيد أدي شير، الألفاظ المعربة، ص٥.

١٠٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٩؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٤٤.

۱۱۰. المقریزی، السلوك، جـ۱، ق۳، ص ۸۳۱ - ۸۳۲.

١١١. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٣٤٦.

^{111.} المقريزي، السلوك، جـ ٢، ق٢، ص٥٢١.

^{111.} ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، جـ ٢، ص ٣٣١.

١١٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٩.

^{110.} ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص٦١.

بالطبول والأبواق والمزامير ويسمّون ذلك تهنئة الحاج ١١٦، وفي عام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، عندما أراد الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون السفر للحج جهز معه كل شيء وحمل معه عدة من أرباب الملاهي وأنكر الناس ذلك من أجل أنه غير لائق بالحج ١١٧٠.

وللمغانى دوراً كبيراً عند ضرب نقود جديدة فحينما كان السلاطين يقومون بضرب نقوداً جديدة كانت المغانى تقوم بإشهار ذلك بين الناس حينما تزف تلك النقود، ففي عام ٨١٨هـ/ ١٤٥٥م في عهد المؤيد شيخ حُملت الدراهم المؤيدية والذهب المؤيدي من دار الضرب بالقاهرة إلى القلعة وزُفت بالمغانى من دار الضرب إلى القلعة ١١٨٠ وقد كان للمغانى دوراً كبيراً في نشر خبر ضرب الدراهم والدنانير المؤيدية عندما زفتها وسبب ذلك أنه عندما جاء السلطان المؤيد شيخ من دمشق وكثرت الدراهم النوروزية والبندقية ١١٩٠ بأيدى الناس في القاهرة، قام السلطان بضرب دراهم مؤيدية، وقد أُشيع بين الناس بأن السلطان سبك دنانير كثيرة من الناصرية، وقام بضرب دنانير مؤيدية، فتوقف الناس في أخذ الدينار الناصري إلى أن استدعى السلطان قضاة القضاة وكبار الصيارفة إلى بين يديه بالإسطبل من القلعة وتحدث معهم في إبطال الدنانير الناصرية، فذكر له قاضى القضاة جلال الدين البلقيني أن في هذا إتلاف كثير من الأموال، فلم يعجب السلطان ذلك، ورد النظر في النقود إليه ٢٠٠، وعندما ضُربت الدنانير والدراهم زفتها المغانى، وكان لها دوراً كبيراً في نشر ما تردد من ضرب الدراهم والدنانير.

واختلف دور المغنيات في أحزان بل وفاة السلاطين عن دورهن في أفراحهم فقد كانوا يعدون جنازات ضخمة تتقدمها طوائف ممن يحترفن القراءات المختلفة يرتلونها بصوت واحد وبنغمة واحدة ١٢١ وكانوا يسمونهم الفقراء الصوفية ١٢٢، هذا إلى جانب من يقمن بالندب واللطم والضرب بالدفوف، فقد كانت المآتم تقام بالمغاني والندابات ١٢٣ وهذا ظهر واضحاً عندما مات الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون، عُمل للملك الصالح العزاء بالديار المصرية أياماً كثيرة ودارت الجوارى والمغنيات بالملاهي يضربن بالدفوف، يبكين ويلطمن، وكثر حزن الناس عليه حزناً عظيماً ١٢٤، وعندما توفي الأمير خليل ابن الملك الناصر فرج بن برقوق عام ١٤٥٨هـ / ١٤٥٤م، ودفن في تربة جده الظاهر برقوق، وأظهرت عليه أخته خوند شقرا غاية الحزن، وعملت له نعياً بالمغاني تزف بالطارات، سبعة

١١٦. ابن الحاج، المدخل، جـ٤، ص٢١٦.

١١٧. المقريزي، السلوك، جـ٣، ق١، ص٢٧٣.

١١٨. المقريزي، السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٠٨.

^{119.} في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قرر مجلس شيوخ البندقية ضرب عملة ذهبية خالصة أطلق عليها في أوربا لفظ دوكات (Ducat) بينها عرفت في الشرق بإسم بندقى أو إفرنتى وقد وصفها مؤرخو مصر المملوكية بإسم المشخصة نسبة إلى صور القديسين المنقوشة على أحد وجهيها، وإنتشرت دوكات البنادقة في الشرق العربى وخاصة في مصر وذلك لثبات وزنها ودقتها وإستدارتها وعيارها المرتفع مقابل الدنانير المملوكية التي لم يكن لها وزن أو عيار ثابت . المقريزي، السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠٦ – ٣٠٠؛ www.landcivi.com،

١٢٠. المقريزي، السلوك، جـ٤، ق١، ص ٣٠٦ - ٣٠٠.

١٢١. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٣٦.

١٣٢. أطلق الصوفية علي أنفسهم إسم الفقراء، وذلك لأن الفقر شعار الصالحين، فهم جماعات عرفوا في ذلك العصر، وأطلق عليهم إسم الفقراء الذاكرون يحضرهم أهل الميت ليذكروا أمام الجنازة، كل جماعة منهم لها صوت ونغم خاص، ويستمرون علي ذلك حتي تصل الجنازة إلي المسجد للصلاة على الميت، أنظر : سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٢٢-١٨١.

^{171.} سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٢١.

۱۲٤. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٠ ، ص٩٨.

أيام وقيل أن ذلك من النوادر ١٢٥، وفي عام ٩١٧هـ / ١٥١١م، توفى الأمير طراباي، وكانت جنازته مشهودة ونزل السلطان وصلى عليه في سبيل المؤمنين، ودقت عليه زوجته بالطارات مع المغاني في العزاء ١٢٦.

ولطائفة المغانى أيضاً دوراً هاماً عند ولادة أبناء السلاطين، فقد كانت الأفراح تستمر لمدة كبيرة، وتحضر المغنيات من كل مكان ويكسبون أموالاً ففي عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م، وُلد للسلطان الناصر محمد بن قلاوون ولد هو إبنه من بنت الأمير تنكز نائب الشام فعمل لها الفرح لمدة أسبوع، فحصل للمغانى شيء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء نصيب كل واحدة منهن عشرة آلاف درهم هذا إلى جانب إعطائهم التفاصيل الحرير والمقانع ١٢٧ المزركشة ١٢٨.

ويظهر دور المغنيات أيضاً عند عودة السلطان منتصراً من الحرب، ففي هذه الحالة يسبق أحد الأمراء بالبشارة وعندئذ تصدر الأوامر بإحضار سائر مغانى العرب من أعمال مصر كلها ١٢٩ وتجلس المغانى تدق بالدفوف ١٣٠ وتضاء الدكاكين والحوانيت كلها بالشموع والقناديل نهاراً وليلاً ١٣١، فعلى سبيل المثال لا الحصر، الإحتفال بقدوم الجيش الذي أرسله السلطان الأشرف قايتباى للقضاء على الفتن التي أثارها أحد زعماء التركمان المقيمين على الأطراف الشمالية لدولة سلاطين المماليك في بلاد الشام والتي تزعمها أحد زعماء هذه القبائل التركمانية ويُدعى شاه سوار، ففي عام ١٤٧٧هـ / ١٤٧٧م، دخل الأمير يشبك الدوادار الذي كان قد خرج بجيشه للقضاء على ذلك الثائر وأمامه الأمراء الذين كانوا معه في التجريدة وإصطفت الناس على الدكاكين للفرجة على شاه سوار المقبوض عليه، وزفته المغانى من باب النصر إلى سلم المدرج ١٢٩٠، وفي عام ١٩٨٨هـ / ١٢٩٨م، كُتب بإحضار سائر مغانى العرب بأعمال الديار المصرية كلها وذلك لمجئ السلطان الناصر محمد بن قلاوون منتصراً من الحرب، وسار السلطان الملك الناصر بعساكره وأمرائه حتى وصل القاهرة ودخلها ١٣٣٠ فاستقبلته المغانى بالطبول والغناء والفرح والسرور.

ولعبت المغنيات دوراً هاماً عند تولية السلطان للحكم عندما كان السلطان يتولى السلطنة فكانت تقام الزينات وتُضرب الكوسات، وتُصطف له المغانى من النساء في الدكاكين ١٣٤ فقد كان هذا الحفل يضم موكباً ضخماً من فئات المغنيين فتسير كل فئة بلباسها الخاص ومظهرها العام ومن بينهم السلطان المعين للحكم وقد لبس أفخر الثياب ومن حوله المغنون والمنشدون والراقصون والزامرون ١٣٥ فعندما حضر السلطان الناصر محمد بن قلاوون كانت

¹۲٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٩٥.

١٢٦. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٢٠٨، جرت العادة أن يصيح الرجال والنساء معاً صيحة عظيمة عالية يعتبرونها وداعاً للميت ويصحبها غالباً لطم الخدود. أنظر: سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص ١٢١.

١٢٧. المقانع جمع مقنع ويقال مقنعه أيضاً وهي ما تغطى به المرأة رأسها وتكون أضق من القناع، حيث ورد أن القناع منديل يضعه الرجال والنساء فوق الرأس. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٤٣٣.

۱۲۸. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص٣٣١؛ المقريزى، السلوك، جـ٢، ق٢، ص٤٣٣.

١٢٩. المقريزي، السلوك، جـ١، ص١٣٨.

١٣٠. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٧٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٧.

١٣١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٧٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٧.

۱۳۲. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٧٧.

۱۳۳. ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ۸، ص١٦٥.

١٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١١؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٥.

^{180.} محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٢٨ - ٢٩.

المغانى في إستقباله حتى وصل إلى القاهرة لإستلام السلطة فرُسم بزينة القاهرة وكتب بإحضار سائر مغانى العرب كلها بأعمال الديار المصرية ١٣٦ فقد إحتفل بحضوره في حضور المغنيين والمغنيات، وعندما تولى الناصر محمد بن قلاوون الحكم للمرة الثالثة أوقدت الحوانيت كلها إلى ميدان الرميلة وسوق الخيل، ورُصَّت المغانى وأرباب الملاهى في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً عظيماً ١٣٧، وعندما تسلطن الظاهر برقوق للمرة الثانية عام ١٣٧هه/ ١٣٨٩م، جلس بالقصر وخلع على الأمراء وأرباب الوظائف ثم قام ودخل إلى الدور السلطانية إستقبلته المغانى بالتهانى ١٣٨٠م، من كل مكان وكان للمغانى دوراً كبيراً عند استقبال السلطان فرحاً به.

كان للمغانى دوراً عظيماً أيضاً عند تأمير أبناء السلاطين ومماليكه، ففي عام ٢٠٧هـ/ ١٣٠٩م، أمرّ السلطان إثنين وثلاثين أميراً من مماليكه ... وركبوا جميعاً بالشرابيش، وشقوا القاهرة، وأوقدت الحوانيت كلها، ورُصعت المغانى وأرباب الملاهى في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً مشهوداً ١٣٩، وعندما عزم السلطان الناصر محمد بن قلاوون على تأمير (أن يؤمّر) إبنه ٢٣١هـ/ ١٣٣٠م، أحمد الذي أحضره من الكرك، ركب الأمير بكتمر الساقى وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية ببين القصرين في خدمة الأمير أحمد وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق ١٤٠، وأمرّ معه أيضاً ثلاثة أمراء عشراوات ١٤١ وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسنى والى القاهرة جميع أرباب الموانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزينوا القاهرة، فزينوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل، وجلس أرباب الملاهى في عدة أماكن يضربون بآلاتهم فرحاً بتأمير أحمد بن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ١٤٠٠.

للمغنيات دوراً آخر عند إلقاء القبض على الأمراء والإفراج عن آخرين، ففي عهد الناصر محمد بن قلاوون عام ١٧١هـ/ ١٣١٠م، كان السلطان قد قرر مع مماليكه القبض على عدة من الأمراء وأن كل عشرة يقبضون على أمير ممن عينهم، بحيث يكون العشرة عند دخول الأمير مُحتفى به فإذا رفع السماط وإستدعى السلطان أمير جاندار قبض كل جماعة على من عُين لهم فعندما حضر الأمراء في الخدمة أحاط بهم المماليك ففهموا المقصود وجلسوا على السماط فلم يتناول أحد منهم لُقمة، وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار فتقدم إليه وقبض الأمير على الأمراء المعنيين وعدتهم إثنان وعشرون أميراً فلم يتحرك أحداً منهم، وركب الجميع بالخلع والشرابيش من المدرسة المنصورية ببين القصرين (شارع المعز لدين الله الآن) وشقوا القاهرة، وقد أوقدت الحوانيت كلها، وصُفت المغانى وأرباب الملاهى في عدة أماكن ونثرت عليهم الدراهم فكان يوماً مشهوداً ١٤٠٠٠.

۱۳۲. ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ۸، ص١٦٥.

۱۳۷. المقریزی، السلوك، جـ۲، ق۱، ص۷۷.

۱۳۸. ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ۱۲، ص۳۵.

۱۳۹. المقریزی، السلوك، جـ۲، ق۲، ص-۳۳۵.

^{• 14.} يعبر عن رمح وإن عني بها معنى اللواء، أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٤، ص٥، وهو ولفظ تركي استعمل بمعنى العلم أو الراية أو بمعنى الرمح أو اللواء، أنظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ، ص٧٣.

١٤١. أميرعشرة رتبة عسكرية في الجيش المملولكي ونصيب كل منهم في الحرب أمرة عشرة فرسان، ومن هذه الطبقة يعين صغار الولاة، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ، ص٢٢.

١٤٢. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق١، ص٧٧.

¹²٣. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٢ - ١٤.

ففي حوادث سنه ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، عندما قدم الأمير ملكتمر الحجازى من سجنه في الإسكندرية فإن خوند الحجازية زوجته تلقته بجواريها وخدامها ومغانيها تضرب بالدفوف فرحاً به١٤٤.

والمثير للدهشة هنا أيضاً هو أن المغانى كانت تلعب دوراً أيضاً عندما كان السلطان يعاقب جواريه، فقد كان السلطان الملك المنصور حاجى عام ١٩٧هـ/ ١٣٨٨م، إذا ضرب أحداً من جواريه يتجاوز ضربه لهن الخمسمائة عصاة فكان الملك الظاهر عندما يسمع صياحهن يُرسل يشفع فيهن، فلا يمكنه المخالفة فيُطلق المضروبة وعنده في نفسه منها كمين كونه ما إشتفى فيها وكان له جوقة مغان كاملة من الجوارى، كما كانت عادة الملوك والأمراء تلك الأيام نحو خمس عشرة واحدة يُعرفن من بعده بمغانى المنصور، فعندما صار الملك الظاهر برقوق يشفع في الجوارى لما يسمع صياحهن بقى المنصور إذا ضرب واحدة من جواريه يأمر مغانيه أن يزفوا بالدفوف و تزعق المواصيل فتصرخ الجارية المضروبة فلا يسمعها الملك الظاهر ولا غيره، ففطن بذلك حريم السلطان الملك الظاهر وأعلموه الخبر وقلن له إذا سمع السلطان زف المغانى في غير وقت المغنى فيعلم السلطان أنه ضرب جواريه وخدمه فعلم الظاهر ذلك فصار كلما سمع المغانى تزف وتُغنى أرسل إليه في الحال بالشفاعة ١٤٠٠٠.

وعلى الرغم من أن مهنة الحسبة هي الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا أن طائفة المغانى لعبت دوراً عند خلع محتسب ورجوع محتسب آخر، ففي عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٠م خلع على جمال الدين محمد العجمى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، ففرح العامة به فرحاً زائداً، وكادوا يحملون بغلته وهو عليها بالخلعة، وصبوا ماء الورد عليه وعلى من معه ومن الزعفران الذي تخلقوا به شيئاً كثيراً، وبالغوا في إشعال الشموع والقناديل بالقاهرة، ووقفت له المغانى تزفه إذا مر بها في مواضع عديدة، وكان يوماً مشهوداً، وذلك أنه قد تعذر وجود الخبز بالأسواق وظل الخبز مختفى من الأسواق عدة أيام، فظنوا أن قدوم الجمال المحتسب الجديد يكون مباركاً فكان كما ظنوا ٢٤١، ففي عام ٢٠٨هـ/ ١٤٥٥م، حصل المقاضى ناظر الخاص ١٤٠٠ مرض في صوته فانقطع عن الخروج ثم شُفيَ بعد ذلك وطلع إلى القلعة فأخلع عليه السلطان ونزل من القلعة في موكب حافل وأمامه أرباب الدولة وأعيان الناس وزينت له القاهرة من بيته إلى القلعة وجلست المغانى على الدكاكين يحتفلون به وكان يوماً مشهوداً ١٩٠٨، وقد فرح الناس بقاضى القضاة كمال الدين عندما طلبه السلطان الغورى ٩١٩هـ/ ١٥٥م، وخلع عليه وشق القاهرة في موكب حافل وزفته المغانى بالطبل والزمر ١٩٩٩.

بالإضافة إلى ذلك عندما كان ينتهى العمل من بناء قصر أو أى شيء خلفه لنا سلاطين المماليك من آثار معمارية فقد كان السلاطين يحتفلون بذلك بمجرد إنتهاء العمل منه، ففي عام ٧١٤هـ/ ١٣١٤م، عندما إنتهي العمل من القصر

¹⁸٤. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٩٥.

^{110.} ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ ۱۱، ص ۳۸۰ – ۳۸۱.

١٤٦. المقريزي، السلوك، جـ٣، ق١، ص٩٥٥.

^{1 1 1} النظر هو رأي العين لأنه يدير نظرة في أمور ما ينظر فيه وإما من النظر بمعنى الفكر لأنه فيه المصلحة من ذلك، والناظر هو المشرف، انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣، ص١١٧٧، ومن أهم الأمور التي يتحدث بها ناظر الخاص هو التحدث فيها هو خاص بهال السلطان من إقطاعه أو نصيبه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما هو خارج عن الأموال العامة، ولم يستطيع أن ينفذ أي أمر من الأمور إلا بمراجعة السلطان. أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٤، ص ٣٠؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف، جـ٣، ص ١٢٠٨.

١٤٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٥٣٥.

١٤٩. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص١٨٩.

الكبير الأبلق '١٠ بالقلعة أوْلَمَ السلطان الناصر محمد بن قلاون في ذلك اليوم وجمع القضاة الأربعة وسائر الأمراء وقرأ خِتمة ومدَّ سماطاً حافلاً، ثم أحضر أخر الليل المغانى وأرباب الآلات، وبات بالقصر تلك الليلة، وأحرق حراقة نفط بالرملة، وكانت ليلة ملوكية لم يسمع بمثلها ١٥٠١.

وفي عهد السلطان قانصوه الغورى سنه ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، عندما توجه نحو المقياس وجلس في القصر الذي أنشأه هناك وكان معه جماعة من الأمراء فأقام هناك طوال اليوم وإنشرح في ذلك اليوم إلى الغاية، وكانت هناك موائل حافلة، وأحضر بين يدية المغانى وأرباب الآلات 107 ، وفي عام 98 هـ/ 107 م، تم الإحتفال بالإنتهاء من العمل في بناء مدرسة السلطان التي أنشأها بالشرابشيين فعمل هناك في تلك الليلة وليمة حافلة وحضر فيها الخليفة المستمسك بالله يعقوب والقضاة الأربعة وأعيان الناس والمباشرين والأمراء وحضر في تلك الليلة قراء البلد والوعاظ ومدَّ أسمطة حافلة وعمل هناك أوقدة حافلة وزينت الدكاكين وحضرت المغانى وكانت تلك الليلة من الليالي المشهوده 107 .

بالإضافة إلى أنهن أى المغانى كنُ يقمن بدور التشهير والتجريس وهى أن يُطاف بالشخص على حماراً أو ثور ويضرب الجرس على رأسه وأحياناً تزفه المغاني ويوضع في عنقه ماشة وهون١٥٤.

فعلى سبيل المثال لا الحصر أنه في عام ٥٨٠هـ / ١٤١٧م، ظهر دور المغانى في التشهير بوالى دمياط، ففي هذا العام وقعت فتنة بدمياط قتُل فيها الوالى، فمنذ أن بدأت دولة الظاهر برقوق وعهده كانت أعمال مصر لا يتولاها والى إلا وقام بدفع مال يلتزم به ١٥٠٠.

وظهر دور المغانى في حالات المُصادرة، فعندما صُودر النشو في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون نزل الأمراء إلى منزله لإخراج حواصل النشو، وهي عبارة عن التحف والصينى والبللور والذهب وغير ذلك، وزينت القاهرة ومصر بسبب القبض على النشو زينة هائلة وعُملت أفراح كثيرة ١٥٦٦ ظهر دور المغانى فيها بالدفوف والرقص.

هكذا كان لسلاطين المماليك حفلات سمر خاصة يجمعون فيها المغنيين والمغنيات فقد كانوا ينتهزون كل فرصة فكلما أنشأوا مسجداً أو مدرسة أقاموا حفلاً، وكلما إنتقلوا من مكان إلى مكان أقاموا لذلك حفلاً، والغريب كما سبق أن ذكرنا أن لعب الكرة في عهدهم كان له هو الآخر حفل بختامه ١٥٧.

هذا وقد كانت قلة قليلة من سلاطين دولة المماليك تكره اللهو والطرب، فعندما كانت الملوك السالفة تهوى النزهة والطرب، وعُمرت في أيامهم بولاق وبركه الرطلي ١٥٨ وغيرها من الأماكن، نجد أن هناك من السلاطين من كره

١٥٠. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٧، ص٦.

١٥١. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٤٥.

١٥٢. عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، ص١٥ - ١٧؛ على السيد على، الجواري، ص٩١.

١٥٣. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٥٢ - ٥٣.

العيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١١٠.

١٥٥. المقريزي، السلوك، جـ٤، ق١، ص٤٢٩ - ٤٣٠.

١٥٦. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٩، ص١٣٨.

١٥٧. محمد قنديل البقلي، الطرب، ص٤١.

^{10.}٨. كانت بركة الرطلى تعرف بإسم بركة الطوابين، إذ كان الطوب يعمل فيها وهي بجانب الخليج الذي أعاد حفره الناصر محمد بن قلاوون، وعُرفت كذلك باسم بركة الحاجب، لأنها كانت بيد الأمير بكتمر الحاجب أحد أمراء الناصر محمد ثم إشتهرت بإسم بركة الرطلي لوجود شخص بجانبها كان يصنع الأرطال الحديد التي تزن بها الباعة . أنظر : المقريزي، الخطط، جـ٢، ص١٢٥ - ١٦٢.

اللهو والطرب وسار في سلطنتة على قدم هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج، فالسلطان الظاهر بيبرس أمر بإزالة الخمور وإبطال الفساد، والخواطئ من القاهرة ومصر، بل وجميع أعمال مصر، فطُهِّرت كلها من المنكر، ونهيت الخانات التي كان يقيم بها أهل الفساد وسُلبت جميع أحوال المفسدات، وحبسن حتى يتزوجن، ونفى كثير من المفسدين وكتب السلطان الظاهر بيبرس بمثل ذلك وحط وألغى الضرائب وما كان يؤخذ من هذه الجهات من الضرائب، وعوض المقطعين جهات حلالاً ١٥٩٠.

وظل ذلك حتى عام ١٧٠هـ/ ١٢٧٠م، فقد كان متشدداً في إراقة الخمور وإزالة المنكرات فكان يوماً مشهوداً ١٦٠ وعندما حضر الشيخ شمس الدين بن دانيال إلى مصر عمل مقامة لطيفة، فقال:عندما جئت من الموصل إلى مصر في دولة الظاهر بيبرس، وجدت تلك الرسوم دارسة، ومواطن الأنس بها غير آنسة، وأرباب المجون والخلاعة عابسة، وقد هزم السلطان جيش الشيطان، وتولى الحرّاني والى القاهرة إهراق الخمور، وحجر على البغايا والخواطي ١٦١ وقال قاضى الإسكندرية ناصر الدين بن محمد بن منصور بن أبي بكر بن قاسم بن مختار المنير، عندما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفى متوليها أثر المحرمات.

غير بالاد الأمير مأواه حَرمتُهُ ماءه ومرعاه لميس لإبليس عندنا أرب الخمر والحشيش معاً وقال أبو الحسين الجزار:

وأخلى الشغر من رضا به على الذي فات من شبابه

قد عُطّل الكوب من حبابه وأصبح الشيخ وهو يبكي

والمثير للدهشة أنه في عهد الظاهر برقوق قل الفساد والمنكرات، حتى قيل عنه أنه أصلح من تولى مُلك مصر من طائفة السلاطين المماليك في أمر الدين والتقوى فإنه قمع المفسدين والجبارين من كل طائفة، وكسدت في أيامه أحوال المغانى وأرباب الملاهى ١٦٢ وأصبح غالب أمرائه وجنده من الصالحين وبقى معظمهم يصوم الأيام في الشهر، ويعف عن المنكرات، هذا كله بخلاف ما كان عليه كثير من الملوك السابقين، فإنه كان غالبهم يقع فيما ينهى عنه ١٦٣.

وقد كان السلطان الظاهر جقمق يكره اللهو والطرب ويحب مجالسة الفقهاء ١٦٤ فهو من السلاطين الأتقياء، وسار في سلطنته على قدم هائل من العبادة والعفة عن المنكرات والفروج، وأخذ في مقت بل وتعقب من كان يتعاطى المسكرات من أمرائه وأرباب دولته فعند ذلك تاب أكثرهم وأصبحوا صالحين وتزهدوا في العبادة ١٦٥٠.

١٥٩. المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٥٥٥-٥٥٤، ٥٧٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٣٢٦.

١٦٠. المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٩٧، الشهاوي، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٥.

۱٦١. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ١٣، ص٤٣؛ السيوطى، خُسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٠٩؛ المقريزى، السلوك، جـ١، ص٥٧٨، جـ٢، ص٥١، جـ٤، ص٢٤٠؛ العهاد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ٧، ص٥٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٣٢٦–٣٢٧.

١٦٢. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥ ص٤٥٨.

¹⁷٣. ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، جـ٤، ص٢٩.

١٦٤. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٥١، ص٥٥٤؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، جـ٤، ص٢٩٨.

١٦٥. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٣٤٨.

والشيء الذي يجب أن ننتبه إليه هنا هو أن ما كان يفعله السلطان الظاهر جقمق كان يشرّ الناس ويُسعد قلوبهم، ففي عام ٥٥٨هـ/ ١٤٥١م، أبطل السلطان ما كان يعُمل بقلعة الجبل من الزفة بالمغانى، والمواصيل والخليلية عند غروب الشمس، وعند فتح باب القلعة من أول النهار وبعد عشاء الأخرة التي يقال لها نوبة خاتون، ورسم لأرباب هذه الوظائف أن يمضوا إلى حال سبيلهم فعظم ذلك على الناس ٢٦٦، حقاً الناس على دين ملوكهم.

ومن السلاطين من إختلف موقفه من وقت لآخر فتارة يشجع وجود الغناء وتارة لا يشجعها (دون وجود أزمات إقتصادية)، ففي عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وصل ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى القاهرة فركب السلطان وذهب لإستقباله، وإهتم به إهتماماً كبيراً ورُسم بتضمين الخمر، فظهر شرب الخمر وكثر السكارى، وزال الإعتراض عليهم، ولكن ظل ذلك أيام قليلة فقط، حتى صدرت الأوامر بإراقة الخمور وإبطال ضمانها، ومُنع من التظاهر بشيء من المنكرات جميعها ١٦٧٠.

هذا وقد تصدى بعض أمراء المماليك أيضاً إلى مظاهر الإنحلال والفساد التي تظهر واضحة خاصة عند أماكن النيل بسبب تجمع المغانى في هذه الأماكن فقد منع الأميران بيبرس وسلار المراكب من دخول الخليج الحاكمى للفرجة ١٦٨ كذلك منع الأميران برقوق وبركة عام ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م، من دخول الخليج الناصرى بسبب ما ينتهك في المراكب من الحُرمات ويتجاهر به من الفواحش والمنكرات وكل هذا كان يحدث بسبب تجمع المغانى هناك إيضاً.

- إرتفاع قدر المغنيات بزواجهن من سلاطين الماليك:

شغف سلاطين المماليك شغفاً كبيراً بالغناء والمغنيات وأغدقوا عليهم الكثير والكثير ١٧٠، فقد إرتفع شأن العديد منهن مثلما حدث مع إتفاق العوادة وذلك عندما أفرط الملك الصالح إسماعيل في حبها ١٧١ وفي العطاء لها وقرب أرباب الملاهي وأعرض عن تدبير المُلك بإقباله على النساء والمطربين ١٧٢ هذا وقد تزوجها الصالح إسماعيل، وعندما تسلطن الملك الكامل شعبان نالت إتفاق المُغنية في عهده من الحظ والسعادة مالا عُرف في زمانها لإمرأة، وباتت عنده من ليلته أول ما تسلطن لما كان في نفسه منها أيام أخيه ١٢٥، وإرتفع شأن المغنية إتفاق العواده في عهد الملك المظفر حاجي عام ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، فتزوجها وأنعم عليها، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب ثم ضربت بعودها وغنت فأنعم السلطان عليها بأربعة فصوص وست لؤلؤات ثمنها أربعة آلاف دينار ١٧٤، هذا وقد كانت

١٦٦. ابن تغرى بردى، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، جـ٢، ص٣٣٩ - ٣٤٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، جـ٣، ص٧٢.

¹⁷V. المقريزي، السلوك، جـ١، ق٣، ص٦٦٨.

١٦٨. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص١٤٢، (بولاق).

١٦٩. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص١٥٠؛ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٢٠٦؛ قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٥٠.

١٧٠. سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١١٦.

١٧١. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١، ص٩٦، حاشية٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٨٣.

۱۷۲. ابن تغری بردی، النجوم الزهرة، جـ ۱۰، ص۹۸.

۱۷۳. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠ ، ص ١٥٠.

١٧٤. ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١، ص٢٥٤؛ المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧٢١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، جـ١، ص٨٤.

أم السلطان الملك الناصر أحمد إسمها بياض، وكانت تجيد الغناء وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة $^{\circ V}$ وكانت تعرف بقومة $^{\circ V}$ وكان للناس بها إجتماعات في مجالس أنُسهم، فلما بلغ السلطان الملك الناصر خبرها طلبها وإختص بها وحظيت عنده، فولدت أحمد هذا على فراشه، ثم تزوجها بعد ذلك الأمير ملكتمر السرجواني في حياة الملك الناصر محمد بن قلاوون $^{\circ V}$ ، وكذلك نسمع عن شهد دار وكانت بديعة في الحُسن والجمال، تزوجها المقر الشهابي أحمد بن الجيعان أحد كبار الأمراء المماليك وشغلته عن تدبير أحوال المملكة وكانت تحسن الضرب بالسبع آلات المطربة $^{\circ V}$.

- المغانى سبب في الإطاحة بالسلاطين وخراب الدولة:

وقيل أن المغانى كانت سبباً في الإطاحة بالسلاطين المماليك إلى جانب أنهم كانوا أيضاً سبباً في خراب البلاد، ففي عهد الملك المنصور أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، صار السلطان في الليل يطلب الغلمان لإحضار المغانى، فغلب عليه الشكر في بعض الليالي فصاح من الشباك على الأمير أيدُغمش أمير أخور ١٧٩ هات لى قطقط ١٨٠ فقال أيدُغمش: يا خوند ما عندى فرس بهذا الإسم، فتكلم بذلك السلاخورية ١٨١ والركابية ١٨٠ وتداولته الألسنة، فمن المحتمل أن يكون قطقط إمرأة مغنية ... فلما زاد أمره طلب الأمير قوصون طاجار الدوادار والشهابى شاد العمائر وعنفهما ووبخهما وقال لهما: سلطان مصر يليق به أن يعمل مقامات ويُحضر إليه البغايا والمغانى، أهكذا كان يفعل والده ١٨٣٥.

¹۷٥. هو لقب على الذي يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير، وتنفيذ أمره فيهم والمراد بالرأس هنا الأعلى آخذاً من رأس الإنسان لأنه أعلاة، والنوبة واحدة النوب وهي المرّة بعد الأخرى، والعامة تقول لأعلاهم في خدمة السلطان رأس نوبة النوب، و المقصود علوّ صاحب النوبة لا النوبة نفسها والصواب فيه أن يقال رأس رؤس النوب أى أعلاهم . أنظر : القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٥، ص٥٥٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠ ، ص٧٩.

¹V7. في السلوك كانت شهرتها قونية، أنظر: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٥٠ ما الله ١٠.

۱۷۷. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص٥٠؛ المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٥٩٣ - ٥٩٤، محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، ص٤٨.

۱۷۸. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢٠.

١٧٩. هو المشرف على اسطبل السلطان وخيوله ويسكن بالاسطبل السلطاني، انظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٢٠.

۱۸۰. ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ۱۰ ، ص۱۲.

¹٨١. ذكر صاحب صبح الأعشى أن السراخور هو الذي يتحدث على علف الدواب من الخيل وغيرها وهو مُركب من لفظين فارسيين: أحدهما سراً ومعناه الكبير والثاني خور ومعناه العلف، ويكون المعنى كبير العلف، والمراد كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب، وبعضهم يقول سلاخور أو السلاخورية كما ذكر المؤلف وهو تحريف في أصل الكلمه صوابه السراخورية. أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٤٠ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٠٠.

۱۸۲. الركابية: هم الذين يركبون خيول السلطان والأمراء لتسييرها وترويضها أو لتدريبها على السباق: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠، ص١٢، حاشية ٣.

۱۸۳. ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ۱۰، ص۱۲.

فما حدث لم يكن يعجب الأمراء، فُخلع الملك المنصور أبو بكر من السلطنة وسلم القلعة بغير قتال، وقد كان الممجون واللهو والخلاعة ووجود أرباب المغانى عنده طوال الوقت وطلبه أن يحضروا إليه بالليل ١٨٤ كان من أسباب خلعه والإطاحة به، وفي عهد الملك الكامل شعبان عام ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، قيل أنه خُربت بلاد كثيرة في عهده لشغفه وعكوفه على معاقرة الخمور وسَمْع الأغانى ١٨٥٠.

رأى الفقهاء في الأغانى

على الرغم من تشجيع السلاطين المماليك للغناء إلى جانب عامة الشعب إلا أنه كان للفقهاء رأى في الغناء، فقد ذكر ابن الحاج في كتابه المدخل إلى الشرع الشريف أن الشيخ الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه المسمى بكتاب النهي عن الأغاني وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية إذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب إليه إزداد الأمر إدباراً حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين وفقنا الله وإياهم إستزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغاني واللهو وسماع الطقطقة وإعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى وجاهرت به جماعة من المسلمين وشاقت به سبل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء ١٨٦ وحملة الدين، وقد قال الإمام مالك إنما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء وإستماعه، أما أبو حنيفه رحمه الله فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب، وأما الشافعي رضي الله عنه فقال في كتاب أدب القضاء أن الغناء لهم مكروه ويشبه الباطل والمحال، وأما سماعه من المرأة فإن أصحاب الشافعي مجموعة على أنه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلظ القول فيه، وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثاً، وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن، وأما العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم «من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية» وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء دينا وطاعة، قال الحسن ومجاهد والنخعي هو الغناء، وقال ابن مسعود لهو الحديث الغناء والإستماع إليه١٨٠٠، ﴿أَفَمَن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون ١٨٨٠ قال ابن عباس رضي الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير، وقال مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان إذا غني، وروى أبو إسحاق ابن شعبان في كتاب الزاهي بإسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن»١٨٩، وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا إله

۱۸٤. ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ۱۰ ص١٦.

^{110.} ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠ ، ص١٤.

١٨٦. ابن الحاج، المدخل إلى الشرع الشريف، جـ٣، ص١٠٠.

١٨٧. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠١.

١٨٨. قرآن كريم، سورة النجم، الأية رقم ٥٩- ٦٠.

١٨٩. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠٢.

إلا الله وأنى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يا رسول الله فما بالهم قال إتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الأشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا» ١٩٠، وذكر ابن الحاج أن صوت المعازف وإستماع المغانى واللهو بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء، وذكر أن يزيد بن الوليد قال يا بنى أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا١٩١.

ضريبة ضمان المغانى وموقف الفقهاء منها

هي من الموارد المالية غير الشرعية، ولجأت إليها الدولة عندما قلت إبراداتها المالية، فبدأت تفرض الضرائب والمكوس ١٩٢ المختلفة بكافة أشكالها وأنواعها بصورة شديدة على العباد وكانت تلك الضرائب لا تفرض على الأرض الزراعية أو على الرؤوس، وإنما تفرض على الإنتاج، وكان هذا النوع من الضرائب يثير حفيظة الفقهاء حيث يعتبرونه غير مشروع إذ أن التجارة في الإسلام ليس عليها أى ضرائب ١٩٣ وإتخذت أسماء مختلفة منها هلالى أى الأموال الهلالية ١٩٠ وقد كان للفقهاء والقضاة رأى في ضمان المغاني على عهد السلطان الأشرف شعبان ففي عام ٥٧٧هـ/ ١٣٧٣م، إجتمع قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم ابن جماعة والشيخ سراج الدين عمر البلقيني بالسلطان وعرفاه ما في ضمان المغاني من المفاسد والقبائح، فسمح السلطان بإبطاله، وكتب مرسوم إلى الوجه القبلي والوجه البحري، بعد ما قرئ على منابر القاهرة ومصر، فبطل ضمان المغاني وكان يتحصل منه مال كبير جداً وزال بزواله منكر شنيع ١٩٠٠.

وعلى الرغم من تقريب المغانى للسلطان الأشرف شعبان بن السلطان حسين إلا أنه ألغي ضمان المغاني عام ١٣٧٨هـ/ ١٣٧٦م ١٩٦٦ مقدا وقد بطل ضمان المغاني والأفراح بجميع مصر من أسوان إلى العريش وقد أعاده وزراء

١٩٠. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠٢.

١٩١. ابن الحاج، المدخل، جـ٣، ص١٠٥.

^{197.} مفردها مكس بمعنى ضريبة أسواق معروفة من قبل في العصر الجاهلي، وكلمة مقس إسم قرية على ساحل النيل في شهال القاهرة، وكانت تعرف بإسم أم دنين، وسميت بعد ذلك بهذا الأسم لأن الماكس كان يقعد بها ليستخرج المكس فكلمة مقس تحريف لكلمة مكس. أنظر: سيدة الكاشف، مصر في عصر الولاة، ص ٤٠؛ أحمد الصاوى، مجاعات مصر الفاطمية، ص ١٤٢، حاشيه ١٠ المستجى، أخبار مصر، تحقيق: أيمن فؤاد سيد وتيرى بيانكي، ص ٢٠، حاشية ٤.

١٩٣٠. راشد البراوي، حالة مصر الإقتصادية، ص٣٤٠؛ ضياء الدين بيبرس، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، ص١٣٩.

^{198.} المال الهلالي هو عدة أبواب أحدثها ولاة السوء شيئاً بعد شيء ... وقيل أن عمر بن عبد العزيز نهى عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه النجس، وأول من أحدث مالاً سوء، هو أحمد بن المدبر لما ولى خراج مصر بعد سنه خمسين وماتتين واستمرت إلى الدوله الفاطميه. أنظر: المقريزي، الخطط، جـ١، ص١٠٣ - ١٠٤ (بولاق) وكانوا يطلقون على الضرائب المختلفة من المكوس اسم المال الهلالي: أنظر راشد البراوي، حالة مصر الإقتصادية، ص٢٤٠. وكانت هذه الضرائب يتم تحصيلها من أصحاب الحرف المختلفة، ابن تغرى بردى، النجوم، جـ٩، ص٤٩، حاشية ؟ حسنين ربيع، النظم المالية، ص ٤٩؛ المقريزي، الخطط، جـ١، ص٤١؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص ٤٤؟

^{190.} المقريزي، السلوك، جـ ٣، قـ١، ص٢١٧.

١٩٦. المقريزي، السلوك، جـ٧، قـ٧، ص٤٩٢؛ المقريزي، الخطط، جـ١، ص١٠٦ (بولاق)؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص١٣٩.

السوء لكثرة ما يتحصل منه ۱۹۷^۹،وفي عهد الظاهر برقوق ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، كان له موقف من المغُنيين والمُغنيات، فأبطل ضمان المغاني بالكرك والشوبك ومن منية ابن خصيب ۱۹۸ وزفته من أعمال مصر ۱۹۹.

كل هذه محاولات من جانب سلاطين الدولة لإلغاء هذا المبلغ الذي أطلق عليه الضمان لكن سرعان ما كان يتجدد وبخاصة في دولة المماليك الچراكسة أي منذ أواخر القرن الرابع عشر وطوال بقية عصر سلاطين المماليك، وربما كان الدافع في عدم إلغائه نهائياً هو سوء الأحوال المالية والإقتصادية التي أخذت تعانى منها البلاد منذ أوائل القرن الخامس عشر للميلاد '۲۰، فكثيراً ما كان يتوقف النيل عن الزيادة وينتشر الوباء، وينتج عن ذلك الإضطراب والفوضى ويُفسر ذلك في ضوء فساد أخلاقيات الناس، وإنشغالهم بأمور اللهو والفساد '۲۰ فيقوم كبار المسؤولين من رجال الدولة بشن الحملات التفتيشية ومهاجمة أوكار الفساد وأماكن الفجور ومستودعات الحشيش.

فعندما لم يبلغ النيل الزيادة عام ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م، أى حد الوفاء حدث إضطراب إقتصادى أعقبه غلاءاً فاحشاً، فأسرع الأمير سيف الدين سودون نائب السلطنة بمصر بالقبض على المتفرجين بالبحر وتوبيخهم، ثم قام بحملة هاجم فيها أماكن بيع الخمور، وأماكن الفساد التي يكثر فيها اللهو والمجون والخلاعة، هذا إلى جانب أنه إتخذ إجراء بكسر جرار الخمر تحت أسوار القلعة ٢٠٢، وفي عام ١٠٨هـ / ١٣٩٨م، أبطل الظاهر برقوق ضمان المغانى بمنية خصيب وأعمال الأشمونين وزفتا ومنية غمر من أعمال مصر ٢٠٣٠م.

موقف سلاطين المماليك وكبار رجال الدوله من طائفة المغانى أوقات الأزمات الإقتصادية

على الرغم من شغف سلاطين المماليك بالغناء والمغانى وتشجيعهم لهم في مناسباتهم الخاصة والعامة مثل أفراحهم واحزانهم وإغداقهم الأموال الكثيرة عليهم إلا أننا نجد أن هؤلاء السلاطين إتخذوا موقفاً مختلفاً عند حدوث الأزمات الإقتصادية وحلول البلاء والوباء على المجتمع، ففي غالب الأحوال يفسر الكثير حدوث الأزمات الإقتصادية والكوارث تفسيراً دينياً وأخلاقياً خالصاً فيرجعون أسبابها إلى غضب الله من جراء فساد الأخلاق وإنتشار الفسق والفجور وسيادة الظلم، وهنا يلجأ الناس سواء كانوا حكام ومحكومين إلى الدين، ويكثر

١٩٧. المقريزي، السلوك، جـ٣، قـ١، ص٢٦٦؛ ابن اياس، بدائع الزهور، جـ١، قـ٢، ص١٦٦-١٦٧.

^{19.} منية ابن خصيب هي المدينة التي تعرف اليوم بإسم المنيا قاعدة مديرية المنيا بالوجه القبلي بمصر، وهي واقعة على الشاطئ الغربي للنيل سميت منية الخصيب. أنظر: ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص٢٩١. وهي نسبة إلى الخصيب ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي، وكانت في الزمن الماضي إحدي قرى الأشمونين. أنظر: ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٣، ص٤٣٠؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١١، ص١١٢.

^{199.} المقريزي، السلوك، حـ٣، قـ٢، ص٥٤٥.

۲۰۰. على السيد على، الجوارى، ص٩٥.

۲۰۱. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ۲، ص٢٧٣ - ٢٧٤؛ ابن تعرى بردى، النجوم الزاهرة، ص٧٥٨ - ٧٦٠.

٢٠٢. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص٧٦ - ٧٧؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ٩، ص٩.

۲۰۳. المقريزي، السلوك، جـ٣، ق٢، ص٩٤٥.

إقبالهم على العبادة، وتقوم الحملات التي يرأسها الوالى أو غيره لمهاجمة أوكار الفساد، وما أن تنقضى الأزمة وتنقشع الغمة حتى تعود الأمور إلى سيرتها الأولى٢٠٠.

فقد كان سلاطين المماليك يتظاهرون بالعدل والخوف على أرواحهم أثناء إنتشار الأوبئة فيعلنون عن إلغاء الكثير من الضرائب والمغارم والمظالم والكلف وبمجرد أن يزول الخطر ويقل الخوف تعود الضرائب الفادحة لتفرض على الناس كما كانت وزيادة ٢٠٠٠ ونتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية كان يحدث تغير في عادات الناس سواء كانوا ملوكاً أو من عامة الشعب، وأحياناً أخرى ودون أن يحدث أزمات فقد يتخذ السلاطين موقف العداء من المغانى على الرغم من تشجيعهم لهم في وقت من الأوقات.

فنجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الرغم من تشجيعه للغناء والمغنيين إلا أننا نجد أن موقفه قد تغير تماماً عام ١٤٠هه/ ١٣٣٩م، ففي هذا العام طُلبت النساء المغانى وصودرن ما بين ثلاثة ألاف درهم وألفى درهم الواحدة وسَجن بالحجرة ٢٠٠٠ أياماً حتى تاب بعضهن عن الغناء و تزوج بقيتهن، وسبب ذلك أن الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش وكان له بها حوشاً لطيوره وموضعاً يتنزه به، وأحضر إليه مغنية تُعرف بالزهرة، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك فأسر السلطان للأمير أقبغا عبد الواحد أن يُلزم شاد المغانى والضامنة ٢٠٠٠ بعدم حضور المغانى مجالس الخمر وإقامة الفتن وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، وأكد عليه في أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك، فلما حدث ذلك شق على آنوك إمتناع المغنية التي تسمى زهرة عنه عدة أيام، إلى أن أتته سراً، ولهي بها عن زوجته إبنة الأمير بكتمر الساقى حتى علمت أمه بذلك فلشفقتها عليه ترخصت له وأمكنته من هواه فخاف آنوك من السلطان، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغلت بال السلطان عنه وكتب ورقة يختله فيها من الأمير بشتاك والأمير أقبغا، وألقيت إلى السلطان فنّم بعض مماليكه للأمير آقبغا بذلك فبلغه السلطان فنم بعض على الدار التي عمرها آنوك ببركة الحبش، فخل إلى الدور وإستدعى آنوك وهم بقتله بالسيف فمنعته أمه وجواريه، فأرعد آنوك من الخوف ولزم الفراش، وتغير السلطان على لالاه أرغون العلائى وأقام طبيغا المجدى عوضه، ورسم ببيع الدار التي عمرها آنوك ببركة الحبش، فهذا يعتبر موقف عداء ولقد أثر الإمام ابن تيمية على السلطان الناصر محمد بن قلاوون وجعله يبطل ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا والفواحش والمغانى، وكانت جملة مستكثرة وكبيرة، وكان ابن تيمية يعيب على الحكومة تهاونها مع شاربيها وبشدة ٢٠٠٨.

ونتيجة للوباء الذي هلكت فيه البلاد والعباد عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، فقد قُطعت رواتب المغاني ٢٠٩ إلى جانب عدم حدوث أفراح وأعراس بين الناس فلم تذكر المصادر والمراجع أن أحداً من الناس سواء الحكام أو المحكومين

٢٠٤. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص ٣٦٢ - ٣٦٦.

٢٠٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٤، ص ٧٧ – ٣٠٤.

۲۰۷. المقریزی، الخطط، جـ۱، ص١٠٦؛ المقریزی، السلوك، جـ۲، ق۲، ص٤٩٢، حاشیه ۱.

www.fustat.com. . Y · A

۲۰۹. المقریزی، السلوك، جـ۲، ق۳، ص ۷٤۸ - ۷٤٩.

قد قام بعمل عُرس في مدة حدوث هذا الوباء، ولا سُمع صوت غناء، فحط الوزير من ضمان المغانى عن الضامنة ثلث ما عليها ٢١، فيحدثنا المقريزى عن بعض الإجراءات التي أُتخذت لتخفيف مصروفات الدولة وموازنتها مع الدخل، فعندما تولى منچك الوزارة عام ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م إجتمع بالأمراء، وقرأ لهم مصاريف الدولة ووفر الكثير من الرواتب وقطع رواتب المغانى ٢١١ هذا إلى جانب أن فرق الجوارى المغانى قد قل إستخدامها فقط عند بعض الناس ٢١٢ وكثيراً ما صدرت أوامر الحكام بمنع مراكب النزهة من السير بسبب مظاهر المجون والخلاعة التي تصاحب مثل هذه الرحلات النيلية ٢١٣

من الملاحظ أن مثل هذه الأوامر الرادعة لم تكن تظهر إلا في أوقات الشدة والأزمات فإذا ما هدأت الأمور غض المحكام أبصارهم عن هذه الممارسة التي تكشف المصادر عن حرص المصريين عليها ٢١٠، والدليل على ذلك أن الإحتفال بعيد الشهيد إتخذ طابعاً دينياً وعاماً في وقت واحد، وكان الاحتفال به يتم على شكل مهرجان كبير على ساحل النيل ناحية شبرا، وفي هذا العيد كان يخرج الناس جميعهم على مختلف أديانهم ليشاهدوا هذا الاحتفال، وكان يحدث من اللهو والمجون والخلاعة ٢١٠ في ظل وجود النساء المغانى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وقد كانت ترتكب المعاصى علانية وتثور الفتن وتقع حوادث القتل ٢١٦ وكان المفسدون لا يجدون مانعاً من الحكام ولا الولاة ولا الحجاب ٢١٠ ولكن ظهر من السلاطين من أبطل هذا العيد، وفي عام ٢٠٧ه/ ١٣٠١م أبطل الأمير بيبرس المهاشنكيز الإحتفال بهذا العيد بسبب مظاهر الفساد والإنحلال التي كانت تصحبه في ظل وجود المغانى والغناء، وظل الأمر على ما هو عليه حتى عام ٢٠٧هه/ ١٣٣٧م، وذلك حينما أعاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون الإحتفال به لسبب غريب هو أن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير الطنبغا المارديني طلبا الخروج للصيد ولكن السلطان لم يوافق به لسبب غريب هو أن الأمير علي ما المن على ما يوافق عن الخروج للصيد ولكن السلطان لم يوافق الشدة غرامه بهما، فعمل عيد الشهيد ليصرفهما عن الخروج للصيد أكانت مدة إبطاله ستاً وثلاثين سنة.

وعند النظر إلى ما سبق ذكره يجب أن نتوقف برهة فنذكر أن الفساد والإنحلال واللهو والخلاعة يوافق بها سلطان من أعرق سلاطين دولة المماليك لأنه قد قام بإنجازات رائعة في هذا الوقت فكيف له بل ولمصلحته الشخصية أن تُعاد أمور الفساد من أجل مزاجه وسعادته هو مع من يُحب من المماليك، أليس هذا إجحاف بل فساد كبير للراعى والرعة؟

```
۲۱۰. المقریزی، السلوك، جـ۲، ق۳، ص۷۲۶ – ۷۸۳.
```

۲۱۱. المقريزي، السلوك، جـ ۲، ص٧٤٩.

٢١٢. ابن شاهين، زبدة كشف المالك، ص١٢١.

٢١٣. المقريزي، الخطط، جـ٢، ص١٤٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ٢، ص٣٠٦.

٢١٤. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص٣٣١.

٢١٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٦٥.

٢١٦. المقريزي، الخطط، جـ١، ص٦٨ (بولاق).

٢١٧. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٦٥.

۲۱۸. المقریزی، السلوك، جـ۲، ص۹۲٦؛ السیوطی، حسن المحاضرة، ص۲۹۹؛ ابن تغری بردی، النجوم الزاهرة، جـ۸، ص۲۰۲؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطین المالیك، ص۳۰۲.

وفي عهد السطان الناصر حسن ٥٩هـ/ ١٣٥٧م، أمر بهدم الكنائس الكبيرة والأديرة، وأمر السلطان والى القاهرة علاء الدين الكوراني وسائر الحُجاب بأن يتوجهوا إلى شبرا ويمنعوا الناس من نصب الخيام وعمل المفاسد، ونادوا بمنع ذلك، ثم أن السلطان رسم للأمير صرغتمش بأن يهدم الكنيسة بشبرا وأن يحضر الصندوق الذي فيه الأصبع وطلب القضاة الأربعة، وأمر بحرق ذلك الأصبع بحضرة القضاة ٢١٩ ثم ذرى رماده في النهر ٢٢٠ ومنع وجود المغانى وتجمعهم في هذه الأماكن.

ومن الجدير بالذكر أنه كثيراً ما ثارت المناقشات بحضور الفقهاء والقضاة لمنع النساء من الخروج إلى الأسواق، لاسيما في أوقات الأزمات الإقتصادية أو الأوبئة، وهو ما يكشف عن المفاهيم الأخلاقية التي كان أهل ذلك الزمان يفسرون بها أسباب الكوارث والشدائد ٢٢١ بما فيهم المغاني، ففي عهد الملك الصالح إسماعيل عام ٤٤٧هـ/ ١٣٤٢م، ظهر من الأمراء نائب السلطنة الحاج آل الملك ٢٢٢ وتتبع الفواحش والخواطئ ٢٢٣، وفي عام ٤٤٧هـ/ ١٣٤٣م إشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والى القاهرة ومصر في منع الخمر وغيره من المحرمات، وتتبع أهل الفساد والمغاني وإحضارهم إليه، وشدّد على كل شئ في المجتمع من الفساد والإنحلال الأخلاقي ٢٢٤.

وللولاة أيضاً دور في مهاجمة وتتبع أماكن الغناء التي تحدث بها الفساد والخلاعة واللهو، فكان الوالى يتوجه بأعوانه إلى الأماكن المختلفة وينادى أن أحداً لا يفعل منكراً ومن وجد عنده شيء من المنكر ينكل به ٢٠٠، ففي عام ١٤٢١هـ / ١٤٢١م، في عهد المظفر أحمد بن المؤيد شيخ نودى بكف الناس عن المنكرات كلها فكثر الدعاء لنظام الملك ٢٢٠ ومشت أحوال الناس وكثر البيع والشراء، وراجت البضائع ٢٢٠٠.

وعندما ظهر الطاعون عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م، قام الأمير قرقماس الشعباني حاجب الحُجاب قياماً تاماً في إراقة الخمور وحرق الحشيش، وهدم مواضع الحانات وبيوت الفسق ٢٢٨ وهاجم أماكن تجمع النساء ٢٢٩.

وقد إجتمع السلطان الأشرف برسباى عام ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م، بالقضاة الأربعة، وذكر القضاة للسلطان أنه حتى يزول الوباء والبلاء ينبغى للسلطان أن يمنع المظالم، وأن الناس يكثروا من الدعاء والإستغفار، ويبطل السلطان المكوس

۲۱۹. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ۱، ق۱، ص٥٦٦. هذا وقد قيل أن الإحتفال بطل نهائياً عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٣، المقريزي، السلوك، جـ٢، ص٢٠٦؛ السلوك، عصر سلاطين الماليك، ص٣٠٦.

٢٢٠. المقريزي، السلوك، جـ٢، ص٩٢٦؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص٣٠٦.

٢٢١. قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٧١؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص٣٣٣..

٢٢٢. ابن حجر، الدرر الكامنة، حـ١، ص ٤٣٩ - ٤٤٠.

۲۲۳. ابن تغری بردي، النجوم الزاهرة، جـ۱۰، ص۸۸.

٢٢٤. حياة ناصر الحجى، أحوال العامة في حكم الماليك، ص٧٧-٧٣.

٢٢٥. الصيرفي، إنباء الهصر بأنباء العصر، ص ٢٠٥.

٢٢٦. هو كافل المالك، أنظر: المقريزي، السلوك، جـ٤، ق٢، ص٥٦٥.

۲۲۷. المقریزی، السلوك، جـ٤، ق٢، ص٥٦٦.

۲۲۸. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص١٢٢.

٢٢٩. الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، جـ٣، ص١٤٤.

ويقل الظلم من الحكام، لعل الله عز وجل يرفع عنهم الطاعون، وبالفعل فقد أمر السلطان أن ينادى في القاهرة بأن يتوب الناس من ذنوبهم، ويصوموا ثلاثة أيام متوالية ويكثروا من الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل ٢٣٠.

وعندما حدث الوباء عام ١٤٨هـ/ ١٤٣٧م، لم يقف السلطان أمام حدوثه عاجزاً، فعقد مجلساً بالقلعة حضره بعض الفقهاء والقضاة وسألهم إن كان الله يعاقب الناس بالطاعون بسبب ما يقترفونه من الذنوب، فأجابه البعض بأن الزنا إذا تفشى بين الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء في مصر يمشين في الطرقات ليلاً ونهاراً بزينتهن، وقد أشار الفقهاء بمنع النساء من المشى في الأسواق، ومنع المتبرجات من الخروج ولكن السلطان أمر بمنع النساء من الخروج مطلقاً ظناً منه أن منعهن يرفع الطاعون ٢٣٦، فنودى بالقاهرة ومصر وجميع الأماكن بمنع النساء من الخروج من بيتها بالقتل، وأخذو إلى القاهرة والحجاب في تتبع الطرقات وضرب من وجدوا من النساء ٢٣٢.

إلى جانب منع خروج العجائز والبغايا وأرباب المغانى لأنهم هم سبب وجود الوباء والطاعون، ظناً من ولاة الأمر أن بمنعهن يرتفع الوباء "٢٣٣، وتم أخذ القرار رسمياً فقد رسَم السلطان للأمير أسنبغا الطيارى بأن يحجر على بنات الخطا ومنعهن من عمل الفاحشة وأمرهم بأن يتزوجوا وإلا يحجر عليهن ٢٣٤، وفي عهد الظاهر جقمق نودى بمنع النساء من الخروج إلى الطرقات والأسواق ولكن لم يتم ذلك ٢٠٥٠.

كل هذه الإجراءات إتخذها سلاطين المماليك وكبار رجال دولتهم فكانوا يتظاهرون بالعدل والخوف على أرواحهم أثناء إنتشار الأوبئة فيعلنون عن إلغاء الكثير من الضرائب والمغارم والمظالم، ففي عام ٩١٩هـ/ ٩١٩م، إشتدت وطأة الوباء على البلاد، وكان السلطان موهوماً على نفسه فأبطل عدداً كبيراً من الضرائب والمكوس٢٣٦.

وقد كان للقاضى الشيخ شهاب الدين أحمد المنوفى الشيخ الفاضل المُحل المعتقد الشافعى متولى الظاهرية القديمة بمصر، وقد تولى بلدة منوف العليا سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م، وباشر القضاء بعفة ونزاهة، وطرد البغايا والمغانى من تلك الناحيه، وأزال المنكرات واستخلص الحقوق ٢٣٧.

٠٢٣٠. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص١٣٢.

۲۳۱. ابن الصير في، نزهة النفوس، جـ٣، ص٤٠٤ - ٤٠٠؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص١٧٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٠ م ١٠٠٠ بابن الفرات، جـ٩، ص٩٠.

۲۳۲. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٥١، ص ٩٢ – ٩٣.

۲۳۳. المقریزی، السلوك، جـ٤، ق٢، ص١٠٣٢.

٢٣٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص١٨٤.

۲۳٥. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٢٢٥.

٢٣٦. قاسم عبد قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص٣٦٢.

۲۳۷. العماد الحنبلي، شذرات الذهب، جـ١٠ ، ص٧٠٧.

دور المحتسب في العصر المملوكي إزاء طائفة المغاني والنساء والآداب العامة

لا شك أن المرأة شغلت جانباً كبيراً من إهتمام والى الحسبة ٢٣٨ فكان المحتسب يراقب المرأة وما ينبغى أن تكون عليه وما يحرم عليها فعله وإرتداؤه ٢٣٩، وقد كان للحسبة دوراً عظيماً منذ بداية عهد سلاطين المماليك، ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس ظهر دورها في الحد من إنتشار المنكرات والتظاهر بها ٢٤٠.

فظهر دورهم أعوام ٦٦٥هـ/١٢٦٦م، ٦٦٩ - ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م عندما أُريقت الخمور وأُزيلت المنكرات، ومُنع البغاء والمغانى في مصر والقاهرة وأُغلقت الحانات وحُبست النساء في المنازل، ونفّذت البلاد كلها جميع الأوامر ٢٤١.

ومن الجدير بالذكر هنا أن حسبة القاهرة كانت تضم أحياناً إلى أعمال والى القاهرة كما تسند حسبة الفسطاط إلى واليها أيضاً ٢٤٢ كما كان يحدث أحياناً أن يساعد الوالى المحتسب على تسهيل مهماته ثم ينفرد المحتسب بتنفيذ هذه المهمات، هذا وقد إستمر محتسب العصر المملوكي في مراقبة الآداب العامة وظهور الناس بمظهر لائق في المجتمع ومنع شرب الخمر ٢٤٣ ونتيجة تكرار الأزمات والأوبئة فقد صدرت مجموعة من الأوامر والمراسيم عام ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥ م أصدرها السلطان برقوق فأمر المحتسب بإبطال ما يحدث في عيد النيروز من القبائح واللهو والفجور وتجمع المغاني وما يترتب على ذلك من كثرة المشاحنات والمشاجرات وتعطيل الأسواق ٢٤٠٠، ويذكر ابن حجر أنه عام ٨٨٢هـ/ / ١٤١٩م، ركب المحتسب والوالي وطافا على أماكن اللهو والفساد بالقاهرة وأراقا الخمور ٢٤٠٠.

وفي عصر السلطان الأشرف برسباى عين دولات خجا الظاهرى برقوق المعزول عن ولاية القاهرة، فخلع عليه الأشرف برسباى باستقراره في حسبة القاهرة، وكانت رغبة السلطان في ولاية دولات خجا هذا بسبب النساء لأن السلطان يعلم شدته وقلة رحمته وجبروته ٢٤٦ كل هذا وقد تعطلت البضائع، وكانت النسوة يموت أولادهن وأقاربهن

77٨. والى الحسبة هو الناظر في شؤون الحسبة في الدوله الإسلامية، وهو موظف يعينه الخليفة أو الوزير أو القاضى، ابن خلدون، المقدمه، جـ١، ص١٨٧، للنظر في شؤون الرعية يأمرهم بها يوافق الشرع وينهاهم عها يخالفه في أعهم الدينية والدنيوية مما ليس من إختصاص القضاة والولاة والجباة (هو جمع جاب وهو من يجبى أو يحصل الخراج أو الزكاة أو الضرائب عادة) سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٠٥، حاشية ٣٤ السيد الباز العريني، الحسبة والمحتسبون في مصر، ص١٥٧، وهو داخل في باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فله النظر في كل ما يهم المسلمين في أسواقهم ومجتمعاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع البعض، ويُعين من يراه أهلاً لذلك من الأعوان والأنصار. أنظر: الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١٠٥؛ إبن الإخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص١٥٠؛ سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٠٥. ومن وظيفته التنفيذية التغير باليد ككسر الملاهى وإراقة الخمور، أنظر: الغزالى، إحياء علوم الدين، جـ٢، ص٢٥٩.

- ۲۳۹. سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٨٩.
- ٠٤٠. الشهاوي، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٥.
- ٧٤١. الشهاوي، الحسبة في مصر الإسلامية، ص١١٥؛ سهام أبو زيد، الحسبة، ص١٨٩.
 - ٢٤٢. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ١١، ص٢١.
 - ٢٤٣. سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص٩١.
 - ٢٤٤. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ ١، ص ٢٦٣ ٢٦٤.
- ٠٢٤٥. ابن حجر، أبناء الغمر، جـ٢، ص١٤٢؟ سهام أبو زيد، الحسبة في مصر الإسلامية، ص٩١٠.
 - ۲٤٦. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص٩٤.

ولا تستطيع المرأة أن تخرج لترى قبر ولدها، فشق ذلك عليهن إلى الغاية، هذا مع تزايد الطاعون، كل ذلك لعدم أهلية الحكام وإستحسان الولاة على الخواطئ وإلا فالحرة معروفة ولو كانت في الخمارة والفاجرة معروفة ولو كانت في البيت الحرام ولا يخفى ذلك على الذوق السليم ٢٤٧، والمثير للدهشة هنا أنه رغم الإجراءات المشددة التي إتخذها سلاطين المماليك وكبار رجال الدولة والفقهاء وغير ذلك لوقف الغناء أيام حدوث الأزمات والأوبئة إلا أننا نسمع على لسان مؤرخنا المقريزى أنه نتيجة حدوث الأزمات الإقتصادية وكساد سوق الجوارى المغانى فقد تم تخفيض ثلث المبلغ المقرر على كل ضامنة للمغانى من المبلغ المفروض عليها أن تدفعة للدولة ٢٤٨ وعلى الرغم من وجود الولاة ورجال الدين الصالحين إلا أننا نجد على الجانب الآخر ولاة فاسدين وشيوخ غير صالحين.

فقد تولى تاج بن سيفه الشويكى الدمشقى ولاية القاهرة في عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودى القازانى الأصل، هذا وقد قرب السلطان والى القاهرة منه وأنعم عليه بإمرة استادارية الصحبة ٢٥٠ ثم ولاه حسبة القاهرة ٢٥١ وكانت له الكلمة العليا في الدولة، وأخذ يتجاهر بالمعاصى والفسوق ولا يكف عن عمل كل قبيح، وكان مستخفاً بالمحارم متجاهراً بذلك، وداره كبعض الحانات لما بها من أنواع القبائح ٢٥٢ والمنكرات.

أضف إلى ذلك الشيخ الصفوى، فهو شيخ بن عبد الله الصفوى الأمير سيف الدين أمير مجلس المعروف بشيخ الخاصكى، كان من أمراء الملك الظاهر برقوق ومن أعيان دولته ٢٥٣ وكان يميل كثيراً إلى اللهو والرقص وسماع المغانى والمساخر، وأرباب المغانى والملاهى، ولذلك سقطت منزلته عند السلطان ٢٥٤.

المحبظون

طالما نتحدث عن الغناء وعلاقته بعامة الشعب فيأخذنا إلى الحديث عن المحبظون هذا اللفظ عامى الصيغة وأغلب الظن أنه كان ينتمى إلى الفارسية أو التركية، ولكنه يبدو أنه محرف عن العربية (المحبذون) أى الذين يستحسنون شيئاً ويستجيدونه ويتشدقون به ويغنون، وفرق المحبظين هذه كانت فرقاً مغنية غناءاً جماعياً إلى جانب الطرب وألوان من الفكاهة والتندر والملح ٢٠٠٠.

۲٤٧. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٥١، ص٩٥.

۲٤٨. المقريزي، السلوك، جـ٢، ق٣، ص٧٨٣.

٢٤٩. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ١٥، ص١٩٨؛ السخاوى، الضوء اللامع، جـ٣، ص٢٤؛ المقريزى، السلوك، جـ٤، ص٩٨٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص١٦٥؛ ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، جـ٤، ص٥.

[•] ٢٥. الأستادارية: وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان أو الأمير كلها من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان وله مطلق التصرف في إستدعاء ما يحتاجه البيت من النفقات والكساوى وما يجرى ذلك، أنظر : القلقشندى، صبح الأعشى، جـ ٤، ص ٢٠، حـ ٥، ص ٤٧٥.

۲۰۱. ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، جـ٤، ص٦.

۲۰۲. ابن تغری بردی، المنهل الصافی، جـ٤، ص٨.

۲۵۳. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص٣١٣.

۲۰٤. ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، جـ٦، ص١٤٣.

٢٥٥. محمد قنديل، الطرب، ص١٢٣.

ويذكر ابن إياس أن المماليك والناس في عصر المماليك كانوا يستمتعون بإستماع المحبظين ٢٥٦ ومن أشهر المحبظين محمد الريس فتات العنبر وهو رئيس المحبظين في عهد ابن إياس٢٥٧.

ونستدل مما سبق على أن التحبيظ كان صناعة غنائية، وأيضاً أن المحبظين كانوا أعضاء في تلك الفرق الغنائية الذين ينتمون إليها ويؤدون أدوارها المختلفة من غناء وفكاهة.

ونلاحظ ان إقبال السلاطين والأمراء بل عامة الناس وأوساطهم يقبلون على الأغانى الشعبية والبدوية، ويمكن القول بصريح العبارة أن غناء المحبظين كان خاصاً بالأغانى الشعبية، ثم كان خاصاً بالأغانى البدوية أي أغانى البدو التي لها تطريب خاص وإيقاع متميز ٢٥٨.

وقد كانت القاهرة تحظى بمُغنى من المحبظين إسمه الشيخ حمزة، وكان لا يعلو تخته بين البطانه التي تسانده إلا وعليه جبة وقفطان من ألوان زاهية تلفت النظر وبعد أن يؤدى هذا المغنى غناءه من الأغانى الخفيفة يتبع هذا الغناء ببعض النوادر والفكاهات ٢٥٩.

موقف المجتمع ٢٦٠ (عامة الشعب) من طائفة المغاني

الناس على دين ملوكهم، فقد كان المصريون يقيمون حفلات غنائية ترفيهية، أشبه بما كان يفعله المماليك من قبل، ولكن المماليك كانوا في ذلك أكثر بذخاً وأكثر إسرافاً، بل قل أن الشعب المصرى كان صاحب هذا البذخ وصاحب هذا الإسراف، لأنه كان يجد فيه متنفساً ينفس به عن نفسه بالإستماع إلى المطربين والمطربات، فقد كان المماليك يشركون الأهالي في إحتفالاتهم وقد كانت إحتفالات عامة كل على وفق ما يميله يساره وجاهة خاصة في إحتفالات شهر رمضان والموالد الدينية، وما أظن أن الأمر في تلك الحفلات يتسع إلا للمقرئين والموشحين وأصحاب الموالد المائمة على المفرئين والموشحين وأصحاب الموالد المائمة على الإعلام ميداناً للعبادة كما كان ميداناً للطرب حيث الأغاني الدينية من مغنين مبرزين ٢٦٢، وقد كان الإحتفال بعيدي الفطر والأضحى إحتفالاً فخماً ضخماً ولقد كان الحفل حفل الناس وكأن السلطان أقامة للناس، وكلا من الموسيقين والمؤلفين والمغنين كانوا يستعدون لهذا العيد وذاك، فالمؤلفون يضعون قصائدهم التي تناسب المقام والمغنون يتدربون على أدائها بما يناسب المقام "٢٦٥".

٢٥٦. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٢٨١.

۲۵۷. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٣، ص٢٢١.

۲۵۸. محمد قنديل، الطرب، ص١٢٤.

٢٥٩. محمد قنديل، الطرب، ص١٢٦ - ١٢٧.

⁷⁷٠. يذكر المقريزى في كتابه «إغاثة الأمة» أن طبقات المجتمع في مصر سبعة أقسام، أهل الدولة، أهل اليسار من التجار الباعة، وأصحاب البر وأرباب المعايش، أهل الفلح وهم الزراعات والحرث، الفقراء وطلاب العلم والكثير من الأجناد، أرباب الصنائع والأجراء وأرباب المهن والحالون والحالون والحالون والحادة والسواس والحاكة والبناة والفعلة ونحوهم، وأخيراً ذو الحاجة والمسكنة وهم السؤال الذين يتكففون الناس ويعيشون معهم، أنظر: المقريزي، إغاثة الأمة، ص٧٢-٧٥.

۲٦١. محمد قنديل، الطرب، ص٣٠.

٢٦٢. محمد قنديل، الطرب، ص٣٤.

٢٦٣. محمد قنديل، الطرب، ص٥٥.

وأصبح للمغنين والمغنيات حظوة وكأنه لدى سلاطين المماليك أولاً، ثم أمرائهم ثانياً، ثم الشعب من بعدهم ثالثاً، فالناس على دين ملوكهم، كما سبق أن ذكرنا فإذا ما جنح أولو الأمر إلى شيء فيه متعة وفيه ترويح عن النفس وفيه راحة للقلوب والخواطر، ولم يكن معه ما يشوبه من خروج على شرع سماوى، أو سُنة مألوفة أو عادة متبعة لم يتخلف الشعب عن السير في ركاب الأمراء والسلاطين يتبعونهم في كل ما يفعلون، كل على قدر طاقته تباهياً وإفتخاراً، ومنذ القدم كان الغناء أمراً مستطاباً يتعشقه البادى والحاضر، ويطرب له الفقير والأمير، بل نرى الرعية تتعشقه عن طبيعي طبيعة وهوى كائن، على حين قد يتعشقه الأمراء والسلاطين عن ترف وتباه، فعشق الشعوب للغناء سليقى طبيعي يقبلون عليه عن حسن ووعى وإستطابة إستجادة، على حين يقبل كل شيء ثم عن إظهار بالتباهي والتفاخر فيسرفون يقبلون عليه عن حسن ووعى وإستطابة إستجادة، على حين يقبل كل شيء ثم عن إظهار بالتباهي والتفاخر فيسرفون ما يسرفون ويحتضنون المغنيين والمغنيات ويؤثرونهم بالكثير مما يملكون، ولكن من كتب له الحظ من المغنيين والمغنيات أن يكون ذا حظوة عند أمير أو سلطان شق طريقة في يسر ونال الدرجات بسهولة، فالفرق هنا كبير بين ما تسبغه العامة على المغنى أو المغنية، وبين ما يسبغه الأمير أو السلطان على هذا أو ذاك.

هذا وقد تعددت المناسبات والأفراح المختلفة التي كثرت فيها عمل طائفة المغاني لعامة الشعب إلى جانب أعراس الفلاحون فقد اعتاد أن يظهر دور المغنيات والراقصات، فيها فعندما ترقص الجارية وسط جموع الرجال، تطوف عليهم وفي يدها الرق لتجمع عوايدها من الفلاحين والعرب ٢٦٠ وقد كان أهل الذمة يقيمون أفراحهم في الملاهي ويسمعون المغاني كما هي العادة المتبعة لديهم ٢٠٥ هذا إلى جانب المناسبات الأخرى الخاصة بالولادة فإذا وضعت الأم مولودها أقبلت عليها النساء يزغردن ويرفعن أصواتهن بذلك مع ضرب الدفوف والرقص واللهو والغناء واللعب في حين تعمل الآلات الآخرى كالمزامير والأبواق على أبواب المنزل وتستمر الأفراح لمدة سبعة أيام ٢٦٦ في حضور المغاني، أضف إلى ذلك حفلات الختان التي كانت تحدث بين جميع طوائف البشر بداية من السلطان وأبناءه ، والأمراء كما سبق أن ذكرناه، نهاية بعامة الشعب، فكثيراً ما طالت الأفراح الخاصة بهذه المناسبة فكانت تستمر أحياناً من ثلاثة إلى سبعة أيام، هذا بالإضافة إلى مناسبات الحج التي أقيمت فيها الأفراح بحضور المغاني وإقامة الولائم وضرب على باب الحاج بالطبل والأبواق والمزامير ويسمون ذلك تهنئة الحاج ٢٦٧ وقد كانت المآتم أيضاً عند عامة الشعب تقام بالمغاني والندابات اللاتي يضربن بالطارات والدفوف كما كُنّ يلطمن على وجوههن ٢٦٨

وقد شجع سلاطين المماليك طائفة الغناء على عملها في الإحتفال بالمولد النبوي الشريف أو بمعنى أصح الإحتفال بالأعياد الدينية، فقد حرص سلاطين المماليك وعامة الشعب على الإحتفال في هذه الحفلات فجاءوا بالمغانى وآلات الطرب وتسابقوا في اللعب والدُف٢٦٩.

[.]Dopp, «Le Caire», p. 145 . 178

^{770.} ابن حجر، إبناء الغمر، جـ١، ص ٥٥١؛ سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١٣٧.

٢٦٦. سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١٣٧.

٢٦٧. ابن الحاج، المدخل، جـ٤، ص٢١٦.

٢٦٨. ابن إياس، بدائع الزهور، جـ٢، ص٤٦؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٧١.

٢٦٩. ابن حجر، أبناء الغمر، جـ١، ص٥٥٣؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص١٦٨؛ ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص٦٢؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٩٩٩.

فكان الإحتفال يفوق الوصف من حيث العظمة والفخامة " فقد كان المنشدون في الإنشاد يمدحون الرسول عليه الصلاة والسلام وكانت تأتى طوائف الفقراء طائفة بعد أخرى ومعهم رئيس المغنيين ويستمرون في الرقص ٢٧١ هذا وإن دل فيدل على تشجيعهم المستمر للغناء والمغنيين، فقد بلغ مقرر بعض المادحين والمغنيين في ليلة المولد من السلطان ألف درهم ٢٧٢ فقد كان السلطان يمنح هؤلاء المغنيين الكثير والكثير من المال فهم يشجعون الغناء والمغنيين، ويغدقون عليهم الأموال التي لا تُحصى ولا تُعد، وكان يتم الإحتفال بالمولد النبوى الشريف على مدار العصر المملوكي بشقيه البحرى والچركسي، بالإضافة إلى ما كانت تنطوى عليه هذه الإحتفالات وتلك المواسم من إتاحة الفرصة للقراء والمنشدين والمغنيين والمرتلين سواء في أعياد رأس السنة الهجرية التي كانت عادة فاطمية، ولكن المماليك زادوا فيها وأبدعوا، فقد كان يتردد إلى القلعة أصوات القارئين المجودين والمنشدين، والناس تجتمع من هنا وهناك يسمعون ويستجيدون ٢٧٣.

ويظهر دورهم أيضاً لعامة الشعب في الإحتفال بعيد الأضحى فيُحدثنا إبن الحاج عن مفسدة كبرى كانت تحدث في الأعياد وبخاصة عيد الأضحى، وهي أن تخرج جماعة من الفتيات يطلق عليهن «بنات العيد» إلى الطرقات بعد أن يتزين ويكشفن وجوههن ثم يأخذن في الغناء والضرب بالدفوف، ويطفن بالأسواق، والحوانيت، والبيوت بجمع ما يجود به الناس عليهن ٢٧٤.

بالإضافة إلى دورهن أيضاً في مناسبة وفاء النيل وكسر الخليج، فقد كان إحتفال عامة الشعب بوفاء النيل منذ فجر التاريخ إحتفالاً عظيماً فقد كان النيل ٢٧٥ مصدر قلق وخوف دائم عند المصريين فإذا تأخر وتوقف عن الزيادة عم الناس القلق لإرتفاع أسعار القمح، وإذا وقي النيل ستة عشر ذراعاً ٢٧٦ نادى المناد وصار ذلك مشاعاً عند جميع الناس، وتعتبر تلك الليلة بمثابة فرح عظيم وتوقد الشموع وتتزين القاهرة، فيبدأ دور المغانى فيستمرون في الغناء لمن يكون حاضراً في دار المقياس ٢٧٧.

وقد ذكر أحد الرحالة أن حياة مصر كلها تتوقف على فيضان النيل، وإليه مرجع الثروة الطائلة التي نشاهدها في مصر ٢٧٨ أما يوم كسر الخليج فكان يوماً مشهوداً في القاهرة ومصر لا سيما جزيرة الروضة، ففي ذلك اليوم تغلق جميع الأسواق في مصر والقاهرة ويُعم الناس البشر والفرح فيسرعون إلى النيل على هيئة مواكب حيث يستأجرون

۲۷۰. سعيد عاشور، المجتمع المصرى، ص١٩٧.

٢٧١. ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، جـ١، ص٢٦.

۲۷۲. ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٥، ص٥٧٥.

۲۷۳. محمد قنديل، الطرب، ص٣٩.

٢٧٤. ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٨٦؛ سعيد عاشور، المجتمع المصري، ص٢١٢.

Hymas, Soil and Civilization, p. 46; Lorin, L'Égypte d'aujourd'hui, p. 129. . YVo

محمد عوض محمد، نهر النيل في الأدب، ص٣؛ محمد حمدى المناوى، نهر النيل في المكتبة العربية، ص١٣؛ جمال حمدان، شخصية مصر، جـ٢، Ball, Egypt in the Classical Geographers, p. 2, Johnston; A History of the Colonization of Africa., p. 7. . ٨٧٦. السيوطى، مبدأ النيل على التحرير، ورقة ٣؛ المنوفى، الفيض المديد، مخطوط، ورقة (١٠)، ص٢٠؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص٢٠؟ المسعودي، مروج الذهب، جـ١، ص٢٠٣؛ عبد الطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، ص٥٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٣، ص٢٩؟ ابن مماتى، قوانين الدواوين، ص٢٠؟ قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصرى، ص١٦؛ أمين سامى، تقويم النيل، المقدمه.

٢٧٧. ابن دقهاق، الإنتصار، جـ٤، ص١١٤ - ١١٥.

[.]Schelfer, Voyage, p. 206-207 .YVA

السفن ويملؤها بالطرب والغناء، هذا وقد جرت العادة بكتابة البشائر إلى سائر أعمال الدولة حتى يعم الفرح جميع الناس ٢٧٩ عامة الشعب (مسلمين وأقباط)، ومن الأعياد التي شارك فيها المسلمون إخوانهم الأقباط في عصر سلاطين المماليك وكان للمغنيات دوراً فيها (عيد الشهيد) واعتاد النصارى أن يحتفلوا بذلك اليوم بالقاء تابوت في نهر النيل به أحد أصابع أسلافهم من الحواريين، وجرت العادة أن يكون الإحتفال بعيد الشهيد في ناحيه شبرا، فيذهب إلى هناك النصارى كما يخرج جميع أهل القاهرة ومصر على إختلاف طبقاتهم بحيث لا يبق مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا بغي، ولا محدث ولا ماجن ولا خليع إلا ويخرج لهذا العيد ٢٨٠ وعند حفر خليج أو جسر في مواقع العمل كانت الحركة الدائبة ترسم صورة مهرجان شامل فيفد الباعة ببضاعتهم من المأكولات والمشروبات يبيعونها للعمال والفعلة كما تحضر إلى مكان العمل المغاني من سائر أنحاء البلاد ومعهم الطبول والزمور ففي عام ١٨ ١٨هـ / ١٤١٥ من نودى للناس للحفير وخرجت طوائف المصريين إلى موقع العمل، ومع كل طائفة منهم الطبول والزمور وكان ذلك مدعاة لاجتماع الناس من الرجال والنساء للفرجة ٢٨٠٠.

فعلى الرغم من إنشغال عامة الشعب وولع عدد كبير منهم بالموسيقى والغناء سواء في الأفراح والحفلات المنزلية أو في الإحتفالات العامة أو في حياتهم اليومية، فكانوا يسعون إلى الأماكن التي يغني فيها المطربون لكى يستمعوا إليهم، فقد إعتاد المصريون من عامة الشعب آنذاك على إحياء حفلاتهم بالغناء والموسيقي، بل إنه كانت توجد في المدن المصرية قاعات مخصصة لعمل حفلات الزواج والأفراح ٢٨٢٠.

حتى أن حفلات المولد النبوي، كان المصريون يحتفلون بها في منازلهم بإحضار الفرق الموسيقية والمطربين مما أثار إستياء بعض المتدينين ٢٨٣ كما سبق أن ذكرناه.

كما أن ولع المجتمع المصري بالموسيقى والغناء بلغ حداً جعلهم يصطحبون معهم آلات الموسيقي والغناء في القوارب للقيام بنزهة على مياه النيل وعندما يتوجهون إلى القرافة ٢٨٤، فقد إعتبر الناس القرافة مكاناً للهو والتفريج عن الناس فخرجوا إليها في الليالي المقمرة، وهناك يدعون الأهل والأصدقاء ويقيمون الولائم ومعهم أولادهم ونساؤهم ٢٨٥ فيكثر الغناء والرقص ويحدث الفساد ٢٨٦ وذلك إصطحاب المغانى وجوقات العوالم معهم ٢٨٧

وقد كان هناك سوق محدد تباع فيه الآلات الموسيقية، وفيه أيضاً كان يجلس العاطلون من الموسيقين والمطربين والمطربات والراقصات في إنتظار من يدعوهم لإحياء حفل أو عُرس، ومن الأمور الطريفة أنه شاع في أوساط المصريين

```
.Dopp, L'Égypte, p. 20-21; Dopp, «Le Caire », p. 122 .YV4
```

ابن دقماق، الإنتصار، جـ٤، ص١١٥.

٠٨٠. المقريزي، الخطط، جـ١، ص١١ (بولاق)؛ قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٧٧ - ٤٨.

٧٨١. قاسم عبد قاسم، النيل والمجتمع المصري، ص٣٦.

٢٨٢. ابن دقهاق، الإنتصار، جـ٤، ص١٣٠؛ ابن الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، جـ١، ص٦٧.

٢٨٣. ابن الحاج، المدخل، جـ٢، ص٢.

٢٨٤. ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٣، ٢٩٠.

٠٨٥. ابن بطوطة، الرحلة، جـ١، ص٧٤.

۲۸۶. ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٦٧-٢٧٠.

٧٨٧. المقريزي، الخطط، جـ٣، ص٣٣٧-٢٤٤؛ ابن الحاج، المدخل، جـ١، ص٢٤٦.

أنذاك أن من يمر من هذا المكان لا تقضي له حاجة $^{\wedge \wedge \wedge}$ وهو ما يكشف عن موقف مزدوج من المجتمع المصري في ذلك الحين تجاه أصحاب هذه الحرفة، فعلي الرغم من إقبال المصريين على الموسيقى والغناء والإستمتاع بها فإن المجتمع المصري تحفظ في نظرته للفنانيين الذين كانوا يقدمون لهم هذه الفنون، وهو موقف مازالت بقاياه موجودة في مجتمعنا الحالي $^{\wedge \wedge}$.

ولا شك أن وجود هذه الفئة من نساء طائفة المغانى السيئات في أى مجتمع يسمح للمجتمع بأن، تعامل المرأة الشريفة بإلاحترام والتقدير اللائقين بها، فالسيدة السيئة السمعة لا يحترمها المجتمع وقد نظر لطائفة المغاني على أنها هي أساس الفساد والبلاء الذي يحل بالمجتمع في كل شئ وهن وراء ما يحدث في كل أزمة، فهى تمثل كبش الفداء، حيث يحملها الرجل بل المجتمع بأسره نتائج أفعالها المشينة ثم ينبذها المجتمع بعد ذلك ولم تحظي بأي تقدير أو أي إهتمام من كافة فئات المجتمع، وهو بالفعل ما حدث عندما كان المجتمع ينبذ هذه الطائفة خاصة في وقت حدوث الأزمات الأقتصادية وعندما يحل الوباء والبلاء والطاعون ويتغلغلون في سائر أنحاء المجتمع، كما سبق وأن ذكرناه.

وبعد فهذه دراسة تهدف إلى التعريف بطائفة المغانى وأدوارها المختلفة في عصر سلاطين المماليك، وكيف أن سلاطين المماليك عملوا على تشجيع هذه الطائفة وتقريبها منهم، وقد كانت هذه الطائفة تدر دخلاً كبيراً للدولة المملوكية وكانت الدولة تشجع هذا الدخل وتسمح به ولم تجد غضاضة في توظيف شخص مسؤول عن هذا الدخل لجمعه ووضعه في خزانة الدولة.

إختلف موقف سلاطين المماليك من وجود طائفة المغانى فتارة يشجعونها ويقربونها منهم في مناسباتهم المختلفة سواء في أفراحهم، وختان أبنائهم، ورحلاتهم، وتشجيع هذه الطائفة على إستقبال هؤلاء السلاطين عند رجوعهم من الحج أو عند رجوعهم منتصرين من الحرب، فلم يجد معظم السلاطين أى غضاضة من وجود هذه الطائفة بالقرب منهم.

وقد إختلف هذا الموقف عند حدوث الأزمات الاقتصادية فقد ألغى معظم السلاطين عمل هذه الطائفة وأرجأوا حدوث هذه الأزمات والأوبئة والأمراض المختلفة نظراً للفساد المستشرى في المجتمع وعمل هذه الطائفة، فقد ألزموا هذه الطائفة بل جميع النساء بالجلوس في بيوتهن وعدم الخروج منها وبعد أن تنتهى الأزمة تعود الأمور إلى ما كانت عليه بل أسوأ.

لبعض سلاطين المماليك موقف حاسم من وجود طائفة المغانى، فلم يرغب البعض في وجود هذه الطائفة مثل السلطان الظاهر بيبرس الذي كان متشدداً في الضرب على أيدى المفسدين في جميع البلاد فأزال المنكرات بكافة أشكالها وأنواعها، أضف إلى ذلك كُره السلطان الظاهر چمقمق لأهل اللهو والطرب وحُبه لمجالسة الفقهاء حتى قيل أن الناس تابوا وأصبحوا صالحين وتزهدوا في العبادة.

[.]٢٨٨ القلفشندي، صبح الأعشى، جـ٢، ص١٤٣؛ المقريزي، الخطط، جـ١، ص٣٧٩ (بولاق).

٢٨٩. قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين الماليك، ص٣٥٥.

أوضحت الدراسة أن الغناء لم يقتصر على النساء فقط بل إشتمل على الرجال أيضاً وذاع صيت الكثير من المنشدين والملحنين ولكن السلاطين ومعظم الناس بل جميعهم فضلوا المغنيات النساء على المغنيين من الرجال.

أوضحت الدراسة إرتفاع قدر المغنيات بزواجهن من السلاطين المماليك بالإضافة إلى أن المغاني كن سبباً في الإطاحة ببعض السلاطين وخراب الدولة لإنشغال السلاطين بهؤلاء المغاني.

أوضحت الدراسة رفض الفقهاء ورجال الدين لطائفة المغانى وإعتراضهن على ضمان المغانى على الرغم من وجود ولاة وشيوخ صالحين يحاربون الفساد من جميع الوجوه، نجد على الجانب الآخر ولاة فاسدين وشيوخ غير صالحين وهذا ما أوضحته الدراسة أيضاً.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

ابن الإخوة، (محمد بن محمد بن أحمد القرشي)، معالم القربة في أحكام الحسبة، نقله وصححه (روبن لُــووِي)، م كمبردچ،١٩٣٧م.

ابن الحاج، (أبو عبدالله محمد بن محمد) المدخل إلى الشرع الشريف، القاهرة، ١٩٢٩م.

ابن الفرات، (ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم)، تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين رزيق، نجلا عز الدين، المجلد الثامن، بيروت، ١٩٣٩ م.

ابن إياس، (محمد بن أحمد) بدائع الزهور في وقائع الدهور، حققه محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة

ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة، المسهاه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، القاهرة ١٩٦٤م.

ابن تغرى بردي، (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، القاهرة، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦م، وهناك محقق آخر د. محمد محمد أمين، القاهرة، ١٩٩٣م.

-، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، ١٣٥٥هـ / ١٣٠٦م.

-، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، القاهرة، ١٩٩٠م.

ابن حجر (الحافظ بن حجر العسقلاني)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، القاهرة، ١٩٦٦م.

-، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشى، القاهرة، العمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشى، القاهرة،

ابن دقهاق، (إبراهيم بن محمد بن آيدمر العلائي)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة، ١٣١٤هـ.

ابن كثير، (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، البداية والنهاية في التاريخ، جـ١٩٦٠ القاهرة، ١٩٦٦م .

ابن مماتى، (الأسعد بن مماتى الوزير الأيوبى)، كتاب قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مطبعة مصر، طبع الجمعية الزراعية الملكية، ١٨٩٨م.

- ابن منظور، (أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الإفريقي المصرى الأنصارى الخزرجي)، لسان العرب، بيروت، د.ت .
- الحنبلي، (عبدالحي أحمد)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القدس، ١٣٥٠ م.
- العيني، (بدر الدين محمود العيني)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الرازى، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، بيروت، ١٩٩٥م. الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- السبكي، (تاج الدين عبد الوهاب السبكي)، معيد النعم ومبيد النقم، القاهرة، ١٩٩٣م.
- السخاوى، (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر عثمان السخاوي)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١٠، بيروت، د.ت.
- السيوطي، (جلال الدين السيوطي الشافعي)، مبدأ النيل على التحرير، مخطوط بدار الكتب المصرية، ٣٨١ جغرافيا.
- -، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، القاهرة ١٣٨٧ه.. الشيزرى، (عبد الرحمن بن نصر الشيزرى)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، القاهرة، ١٩٤٦م.
- الصيرفى، (علي بن داود الصيرفي المعروف بالخطيب الجوهري)، إنباء الهصر بأنباء العصر، القاهرة، ١٩٧٠ م.

- -، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: د. حسن حبشي، القاهرة، ١٩٧٠م.
- الغزالى، (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد)، إحياء علوم الدين، ج٢، الغزالى، (أبو حامد محمد بن محمد).
- القلقشندى، (أبوالعباس أحمد بن علي)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة، ١٩٢٢ ١٩٢٢م.
- المسبحي، (الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله أحمد)، أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد وتييري بيانكي، المعهد العلمى الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة.
- المسعودي، (أبي الحسن على بن الحسين بن على المسعودي)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- المقري الفيومي، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٧م (هناك طبعة أخرى للمقرى الفيومي، مصباح المنير في غريب الشرح الكبير، القاهرة، ١٩١٠م).
- المقريزي، (تقي الدين أحمد بن علي)، إغاثة الأمة بكشف الغمة، أو تاريخ المجاعات في مصر، حمص، ١٩٥٦م.
- -، المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، القاهرة، ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة،
 القاهرة، سنة ١٩٤٣م.
- ياقوت الحموى، (الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادي)، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧م.

ثانيا: المراجع العربية

- أحمد السيد الصاوى، أوراق من تاريخ عمل المرأة المصرية، مركز قضايا المرأة المصرية، القاهرة، د.ت.
 - -، مجاعات مصر الفاطمية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- السيد الباز العريني، الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية

المصرية، المجلد الثالث، القاهرة، ١٩٥٠م.

الشهاوي، الحسبة في مصر الإسلامية، القاهرة، د.ت.

أمين سامي، تقويم النيل، القاهرة، ١٩١٦م.

جمال حمدان، شخصية مصر، القاهرة، ١٩٨٠م.

- حسن الباشا، أثر المرأة في فنون القاهرة، القاهرة، ١٩٧٠م.
- -، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ١٩٦٥ م.
 - حسن الساعاتي، مشكلة البغاء، القاهرة،١٩٦١ م.
- حسنين محمد ربيع، النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٩٠م.
- حسين مصطفى حسين، طوائف الحرفيين، رسالة دكتوراه، القاهرة، ١٩٨٧ م.
- حياة ناصر الحجى، أحوال العامة فى حكم الماليك، الكويت، ١٩٩٤م.
 - خليل بدوي، موسوعة شهيرات النساء، القاهرة، ١٩٩٨م.
- راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين الماليك، القاهرة، ١٩٦٢م.
 - سهام أبوزيد، الحسبة في مصر الاسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- سيدة الكاشف، مصر في عصر الاخشيديين، القاهرة، ١٩٥٠م.
- -، مصر في عصر الولاة، سلسلة الألف كتاب (٢٤١)، القاهرة، ١٩٥٠م.

- سامية على مصيلحي، البغاء في مصر في العصر المملوكي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٣٣، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- ضياء الدين بيبرس، الخراج والنظم المالية للدولة الفاطمية، القاهرة، ١٩٦٩ م.
- عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، القاهرة، أشرف على اعداد هذه الطبعة وقدم لها د. عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- على السيد على محمود، الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية، القاهرة، ١٩٨٨م.
- قاسم عبده قاسم، أسواق مصر في عصر سلاطين الماليك، القاهرة، ١٩٧٦م.
- النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين الماليك، القاهرة،
 ١٩٧٨م.
- -، دراسات في تاريخ مصر الاجتهاعي عصر سلاطين الماليك، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ليلى عبد اللطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام إبان العصر العثماني، القاهرة، د.ت .
 - محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، دمشق، ١٩٩٠م.
- محمد بن حسن، المختار المصون من أعلام القرون، مج١، دار الاندلس، ١٩٩٥م.
- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، القاهرة، د.ت .
- محمد حمدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، القاهرة، العمد معدي المناوي، نهر النيل في المكتبة العربية، القاهرة،

محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء محمد قنديل البقلي، الطرب في العصر المملوكي، القاهرة،

محمد نيازي حتاتة، جرائم البغاء، رسالة دكتوراه،

نجية إسحق عبدالله، فرج عبد القادر، سيكولو چية البغاء، القاهرة،

نريان عبدالكريم، المرأة في العصر الفاطمي، القاهرة، ١٩٩٣م.

المصريين الى سنة ١٩٤٥، القسم الأول، البلاد المندرسة، ١٩٨٤م. القاهرة، ١٩٥٣ - ١٩٥٤ م.

محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، ج١، القاهرة، القاهرة، ١٩٦١م.

محمد عوض محمد، نهر النيل في الأدب، المجلة، العدد ٨، المحرم سنة ١٣٧٧هـ، أغسطس، القاهرة، ١٩٥٧م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

Ashtor, E., A Social and Economic History of the Near East in the Middle Age, Collins, London, 1979.

Alien, R., The Nile Quest, London, 1903.

Ball, J., Egypt in the Classical Geographers, Gor. Press, Cairo, 1942.

Beauvoir, S., The Second Sex, Translated from the French by H.M. Parshley, A Four Square Book, London, 1963.

Dopp, P. H., Le Caire vu par les voyageurs occidentaux du Moyen-Âge», Bulletin de la Societé royale de géographie d'Égypte 22, Le Caire, 1951.

—, L'Égypte au commencement du quinzième siècle, Le Caire, 1950.

Dozy, R., Supplément aux dictionnaires arabes, 2 vols, Levden, 1881 (Paris, 1927).

Hymas, E., Soil and Civilization, London, 1952. Johnston, Sir Harry Hamilton, A History of the Colonization of Africa by Alien Races, Cambridge, 1905.

Lorin, H., L'Égypte d'aujourd'hui, Le Caire, 1926. Quatremère, E. (trad.), Histoire des sultans mamlouks de l'Égypte, Paris, 1837.

Schefer, Ch., Le voyage d'outre-mer (Égypte, Mont Sinay, Palestine) de Jean Thenaud, Paris, 1864.

رابعاً: الشبكة الدولية للمعلومات

http://www.aqsaa.com http://www.hartaka.blogspot.com http://www.landcivi.com

http://www.azminah.com http://www.neelwafurat.com http://www.fustat.com